المعلم الاول

◆

اذا ألقينا نظرة شاملة على حركة الاتجاهات الادبية والاجتماعية في التاريخ ، فرأينا كيف تنشأ هذه الاتجاهات التي تقلب وجه الفن وتبدّل المعتقدات ، وعاينا اضطراب المذاهب واختلاط الجهود في فوضى المجالسات والمعاكسات ، اتضح لنا ان الاخطاء التي نمر بها اليوم هي اخطاء كل عصر ، والفوضى التي نشهدها هي فوضى كل جيل وعلى الرغم من ان الشعوب لم تفتقر في اي عصر الى مصلحين يقودون خطاها ، وينيرون سبيلها ، فهي لم تتأثر بتعاليم اولئك المصلحين الا بمقدار ما وافقت هذه التعاليم اغراضها ومنازعها . ومن هنا نشأت الفوضى في التفكير والعمل على تباين مناحيها وتباعد مقاصدها ، فاختلط الصالح بالطالح ، واختل الشعور بالواجب الانساني ، فبدلاً من ان نشهد نظاماً اجتماعياً يقوم على الآداب الفاضلة والعقل السليم ، شهدنا انظمة سياسية تقوم على الاغراض الزائلة والمزاعم الباطلة، وبدلاً من ان نسمع آراء « انسانية » سمعنا آراء « حزبية » وبدلا من ان نشهد النظام شهدنا الفوضى .

جاء المصلحون فقالوا لنا « أحبوا الحقيقة » فأحببنا اغراضنا . ولكي نجد مبرراً لهذه الانانية ارتجلنا مصلحين جدداً استوحوا مصالحنا وغاياتنا ، فأقمنا بذلك شريعة المنفعة الذاتية مقام شريعة الحق الكوني .

لسنا نعني بهذا ان يضحّى بالشعور الوطني على مذبح الشعور الكوني الشامل ، لكن مصلحة الامة اذا ارتكزت على الحق لم تتعارض ومصالح الامم الاخرى ، كما ان مصلحة الفرد اذا ارتكزت على العدل لا تتعارض ومصلحة المجموع . على ان الشعور بالحق والعدل لا يصدر الا عن الشعور بالمحبة ، فالمحبة هي رأس المال الذي يجب ان يتزود به افراد المجتمع على تباين عناصرهم .

قلنا ان مصلحة الامة اذا ارتكزت على الحق لا تتعارض ومصالح الامم الاخرى ، ذلك ان الحق واحد في كل مكان، فلا يمكنه ان يكون حقاً هنا وباطلا هناك . فمتى أدركت امة هذه الحقيقة ، أدركت واجبها ، وعندئذ يمتزج الشعور الوطني بالشعور الكوني ، ويصبح شعوراً انسانياً ، وعندئذ ايضاً يسود النظام وتزول الفوضى ، ويحل السلام محل البغضاء والخصام . على انه ، لا يمكن امة ان تصل الى هذا الادراك الا عن طريق المحبة كما تقدم .

بيد ان المحبة بحاجة الى من يبثها ، بل الى من يعلمها . وهذا المعلم ليس بالفيلسوف الذي يعي حكمة الايام والليالي ، ولا بالعالم الذي يخزن في دماغه معارف العصور ، ولا بالشاعر الذي تعزف الطبيعة في منظومه موسيقى الحياة ، ليس هذا المعلم هؤلاء الفريق من الناس فحسب ، بل هو الحاكم والقاضي والتاجر والصانع ايضاً ، هو كل طبقات الناس على الاطلاق . فالحاكم يعلم المحبة بنزاهته ، والقاضي بعدله ، والتاجر باستقامته ، والصانع بفنه واخلاصه وتجويده .

على ان هؤلاء جميعاً : « الفيلسوف والعالم والشاعر والحاكم والقاضي والتاجر والصانع » هؤلاء الاقانيم السبعة، المجموعة في اقنوم واحد هو « مربي المجتمع » لا يستطيعون ان يؤدوا رسالتهم على وجهها الاكمل ، الا في ظل الحرية السليمة ، ابنة المحبة البكر . ولعمري ، أفي ميسور المرء ان يصدر حكماً عادلاً ويفكر تفكيراً سليماً ، ام يتحاشى تحريف الاعمال والمقاصد عن وجهها الصحيح او يسمو الى احقاق الحق الا اذا كان حراً ؟

كادت الحرية تكون كل شيء . .

البير اديب

تلفون – مرأب – شطرنج – بلياردو – وتوابعها …

بقلم

جبرائيل نوبهي

… وسألت المستخدم ، فور عودتي الى المكتب ، هل تلفن احد يسأل عني ؟

فابتسم رفيقي ، وهو من المخضرمين ، وقال لي بلهجة فيها عتاب ، وفيها سخرية ، وفيها استنكار : ألا يكفيك ان تجري كلمة تلفون على لسانك ، وعلى يراعك احياناً ، حتى تنحت منها فعلا وتصرّفه ؟ وهممت ان اجيبه بـ « يصرف الشاعر ما لا ينصرف » ولكنني ادركت ان المجال ليس مجال اعراب . وأدركت على الاخص انني لست بشاعر ، وان المثل بالتالي لا ينطبق عليّ .

بيد انني قبضت على الفرصة ، وقد سنحت ، لأساجل صديقي المخضرم في قضية يثيرها بعض المحافظين كلما جرت كلمة اعجمية على يراع كاتب .

ورحنا نتجاذب اطراف الحديث ، والحديث ذو شجون كما يقولون .

فقلت لصديقي :

احلف يميناً غموساً انني أغار على لغتي العربية غيرتك عليها . وغيرتي هذه هي التي تحملني على استنكار ما تريدونه لها من جمود ، يقف بها عن مجاراة العصر الذي نعيش فيه ، ويجعلها لغة متحجرة . فقال لي والابتسامة الساخرة لم تبرح عالقة باطراف شفتيه :



هذه شعوبية في اللغة يا أبا غسان ! …

ودفعت عني هذه التهمة بلا تيسر ، وظللت أضيق عليها الخناق حتى تقلصت السخرية عن ابتسامة صديقي ، ثم اختفت عن شفتيه بتاتاً ، ثم غشيت سحنته مظاهر الاهتمام ، ثم افترقنا بعد ان ادخلت على قناعته جانباً من قناعتي ، فوعد بأن يهضم هذه الكلمات الدخيلة ، ولكنه تحفظ ووعد بأن يكون الهضم في مناسبات خاصة لا في لغة الكلام .

ولست ادري في الواقع لماذا يصرّ بعض «المحافظين» على التنكر لاقحام الكلمات الاعجمية في سياق الكلام العربي ، فتراهم ينحتون رؤوسهم لينحتوا الفاظاً عربية النجار ، يعبرون بها عن الالفاظ التي اضطرت اللغات الاعجمية نفسها الى نحتها ، بدورها ، من معدن اللغتين الاغريقية واللاتينية ! .

ان التشدد في استعمال كلمة هاتف بدلاً من « تلفون » وكلمة « مرأب » بدلا من كلمة « كاراج » و « صور متحركة » بدلا من « سينما » ، وهلم جرا – ان هذا التشدد انما هو غيرة على اللغة في غير محلها . لان اللغة كائن حيّ اذا هي لم تتلقح بلقاح جديد ظلت تجتر نفسها ، وانتهت الى الجمود والتحجر .



وليست محافظتنا على لغتنا ، بالغة ما بلغت ، بأشد من محافظة اجدادنا ومن سبقونا فيها في ميدان الكتابة ، سواء أكانوا من العرب العاربة ام من العرب المستعربة . خذ اخوان الصفاء مثلا ، وقد تصدوا لبحث العلوم التي عاصرتهم ، فانهم لم يتحرجوا من تسمية علم الحساب بعلم « الارثماطيقي » وعلم الفلك بعلم « الاسترونوميا » … انا اذكر اني درست المنطق بالعربية في كتاب اسمه « ايساغوجي » … فهل طعنت هذه الالفاظ الاعجمية في عروبة اخوان الصفاء ،



وصاحب « ايساغوجي » ؟ .. وهل حالت بين طلبة العلم وبين الفائدة التي أفادوها من نشر تلك العلوم بالعربية ، على ما فيها من الفاظ اعجمية دخيلة ؟

لا اريد الآن ان اضرب الامثلة على شيوع الالفاظ الاعجمية ، من فارسية ويونانية وحبشية وسواها ، في كتابات القدماء ، فذلك امر مفروغ منه كما يقولون . ولكنني اردت الى القول ان عروبتنا ، قومية ولغة ، لن تصاب بمكروه — أبعد الله عن المحافظين كل مكروه — اذا قلنا تلفن يتلفن ، بدلا من هتف يهتف ، او كتبنا تلفون بدلا من « ارزيز » او « مسرة » واذا سمينا السينما « سينما » بدلا من صور متحركة او مشبحة .. الى آخر الموال . كما اني لم افهم حكمة من استعمال كلمة « مرأب » بدلا من كاراج فأن كانت مشتقة من رأب الشق ، فلماذا لا يسمى المستشفى مثلا « مرأباً » ، وفيه يرأبون كثيراً من الشقوق ؟ .

وكأني بمعترض يقول : وهل تريد اطلاق هذه القاعدة على كل المصطلحات التي لم تكن معروفة عند العرب ، فنأخذ ألفاظها الاعجمية ، كما وردت ؟

كلا ليس هذا غرضي ، فالاطلاق هنا غير وارد . وانما هناك مصطلحات اصبحت « دولية » بعد ان جرت على اقلام الكتاب في كل اللغات . وهذه المصطلحات تكاد ان تعرض لنا في حياتنا الخاصة والعامة كل يوم . وهي تدل على اشياء لم تكن معروفة عند اجدادنا ، فلماذا نتعب انفسنا في نحت الفاظ جديدة لها ، وهذه الالفاظ نفسها تحتاج الى تعريب ، بدلا من مجاراة العصر وشعوبه ولغاته في استعمالها ، بعد سبكها في صيغة عربية جهد الطاقة ؟ لنفرض ان لاعب « بليياردو » مثلا اراد ان يكتب الى صديقه ، او ان يخاطبه عن مهارة احد اللاعبين . فماذا يسمي « البليياردو » ؟ وهل ينتظر من احد المحافظين الجامدين ان ينحت له اسماً « للبليياردو » من خوان ، او مائدة ، او مسطح تجري عليه الأكر ؟ ... ولماذا يقولون « شطرنج » وهي كلمة فارسية ، ولا يتحرجون ، ثم يتحرجون من كلمة تلفون ، وهي كلمة دولية ؟

وبعد فليست لغتنا هي اللغة الوحيدة التي تستقي من منابع اللغات الاخرى . فان اللغة الفرنسية ، لغة العلم والسياسة الدولية ، لم تتحرج من اقحام كلمات انكليزية فيها ، كان في وسع كلمات فرنسوية قاموسية ان تؤدي معانيها . فهم يقولون مثلا عن المحادثة الصحفية Interview وهي لفظة انكليزية تستطيع لفظة Entrevue الافرنسية ان تؤدي معناها تماماً . ولكن « انترفيو » اصبحت في الاصطلاح كلمة معروفة تعبر خاصة عن معنى الحديث الصحافي . فلم يتحرج الكتاب الفرنسيون من استقراض هذه الكلمة عن الانكليز .

هذا مثل من مئات نستطيع التدليل بها على ان اية لغة لا تستغني عن اقتراض كلمات من لغات اخرى . وقد اخذت اللغات الاجنبية كثيراً من الالفاظ عن لغتنا ولم تتحرج .

فاذا كان اسيادنا المحافظون يصرون على ان لا تستقرض لغتنا اية كلمة دخيلة ، فنحن نستغفر لهم الله ، ونطبق عليهم قانون الاعارة والتأجير ، لننقذ اللغة من عواقب التشدد الذي ما زالوا يعترضون به طريق النشوء والارتقاء .



جبرائيل توبني

الايمان عنصر الحياة في الامة الروسية

بقلم ميشال ابو شهلا

ان روح الامة حينما تفقدها في ميادين الحياة لتتبين مزاياها وتستشف اعماقها ، تجدها ماثلة لعينيك بحقيقتها التي لا يشوبها خداع ولا يحجبها قناع . فهي ترتكز الى اسس واحدة لا يمكن ان تتباين في جوهرها وان اوهمتك المظاهر . ولست تصيب اذا حاولت ان تجزأها او ان تمزج بها عناصر من غير معدنها . ولا عبرة فيما يبدو لك من اختلاف الاوصاف وتفاوت الاعماق وتعدد الالوان التي ترد على لسان هذا او ذاك من اهل العلم والفن والتخصص ، فكثيراً ما يحار الفكر بين اشكال اللفظ ووجوه النظر ، والوان الفن ، لتنتهي حيرته عند معاني قول واحد وصورة واحدة . وكثيراً ما تلبس الحقيقة الواحدة ابراداً متعددة من صنع الخيال والاسلوب او من موحيات السليقة والتخصص، ولكنك اذا عريتها برزت لك واحدة في كل موضع وتحت كل دثار .

فالأمة القاسية بروحها تجدها قاسية في اخلاقها ، خشنة في سمتها وحركاتها وترى اثر العنف والقوة في كل مظهر من مظاهر حياتها ، من ميل الى البطش ونزعة الى الالحاد ، وطموح الى السيطرة وغطرسة موروثة . ويبرز كل هذا معاً في شعورها وتفكيرها، وفي ادبها وفنها .

والامة المائعة بروحها يتمثل لك فيها الانقياد والخنوع والتفكك والانانية والاخذ بالخرافات والاستسلام الى الخيال ، وينطبع ادبها بالطابع الشعوري السقيم الذي يشيع فيه اليأس والشكوى والدمع والتوسل . والانواع عديدة، لو شئت ان استعرض مزايا الامم لأصور روح كل منها على ضوء تاريخها ومجتمعها وآدابها . على انني اكتفي بواحدة من هذه الامم تمثل اليوم على مسرح الحرب الاوربية دوراً لفت العالم اليه وراح الناس حياله يتساءلون عن مزايا هذه الروح التي تتغلغل في الامة الروسية . فأية روح هي تلك التي لا تهن في الشدة ، ولا تجبن امام الموت، ولا تقنط في الخذلان ، ولا تندحر في وجه الخطر ، ولا تبالي بأسباب التهلكة ، ولا تعرف معنى للتعب واليأس والخوف ؟

ذلك ما عن لي ان اعالجه في هذه الصفحة الوحيدة التي ابقاها لي كتاب « الاديب » وشعراؤه . فالامة الروسية كما يصورها لنا تاريخها وفنها وادبها تستقر على روحية، عنصرها « الايمان » وينبوعها « القلب » فهي والحالة هذه في الطرف النقيض لامم « العقل » والحساب « وهي » اذا نظمتها « الارادة » وغمرتها « قدسية العجائب » رأيت امامك أمة متحدة كالبنيان المرصوص ، لا يفت في عضدها خطر مداهم ولا تنال من عزيمتها وجلدها المتاعب والمكاره .



واني ادعوك ان تتمثل امة وهبت نفسها للدفاع عن قضية والفناء من اجلها ، تسير الى هدفها كالسيول المتدفقة دون ارتداد ، لتقرر ان هذا العمل انما هو ثورة من ثورات « الايمان » وفرض من فروض « القلب » وهما عنصر الروح الروسية وينبوعها . وما كانت التضحية بالحياة مرة من مقررات « العقل » او من نتائج الحساب .

وليس الذي اقوله عن الروح الروسية هو من وحي الساعة بل هو حقيقة راسخة في تاريخها وفنها وأدبها . فقد سمعت واحداً يقول : ان في روسيا ابنية وكنائس يعجز ضعاف الايمان عن ان يدركوا كيف استطاع رجال الماضي ان يصرفوا السنوات الطويلة لتشييدها .

ونرى ايضاً ان هذه الروح تنعكس على اتمها في الوان الادب الروسي ، فتراه يحلق في كل اجوائه على اجنحة من الاحلام يحاول بها ان يدعو الانسان الى ترك حياة الكذب والاضطهاد وتشجيع العنف مما يسمم النفس البشرية ويغذي حيوانيتها ، بدلاً من ان يرتفع بها الى عل فتتجلى في هذا الادب قوة الايمان بالعجائب والثقة اللامحدودة في الرجل : في ارادته وفي ضميره .

ومن المدهش حقاً ان نسمع صوتاً ارضياً يؤمن مثل هذا الايمان القوي بالرجل وشجاعته ويرى في ارادة الانسان قدرة على ان يرفس الحياة التي يعيش، ويقلبها ويتملص منها ومن اكوام الوف السنين، ليبدأ حياة جديدة وحرة بكليتها .

ان هذه المدرسة الروحية التي يرأسها تولستوي وبوشكين ويعلم فيها معظم أدباء الروس الذين قادوا حركة الفكر في روسيا انما هي صورة ماثلة من روح الامة الروسية التي تدفع بالملايين من رجالها وشبانها في معترك هذه الحرب وكلهم ايمان بحقهم في الحياة ، واندفاع الى التضحية بأرواحهم دون حساب، وملء أبرادهم شجاعة لا توصف، وصبر لا ينفد ، وثقة لا يعتورها ضعف .

ومن خصائص هذه الروحية الشائعة في المدينة والقرية في صدور الرجال والنساء ، في الشبان والعجائز، ان تكتل صفوف ابنائها ساعة يستيقظ الايمان القومي ، وساعة تستصرخهم الامة مهيبة بهم الى الجهاد . ولعلي لا اخطيء اذا قلت ان في هذه الروحية شيئاً من الشرق، مهد الانبياء والرسل ومبعث الايمان والاحلام والشعر ، ما تزال في الامة الروسية حية يغذيها ادب له رسالته السامية ومدرسته الراسخة القواعد .

وخلاصة القول ان الامة التي تحلم وتبتسم وتندفع وتضحي وتثق بقلب مؤمن تنبثق منها ابداً اجيال من الشباب الخالد هي خير ضمانة للحياة .

ميشال ابو شهلا

اصلاح النقد

بقلم ج . لاسين

تقدم « الاديب » الى قرائها تعريب هذا الفصل في « اصلاح النقد » وهو مقتطف من مؤلف كتب بعض فصوله المتقدمة السيد جاك لاسين Jaques Lassaigne رئيس دوائر النشر والصحافة في المندوبية العامة للجنة الفرنسيين الاحرار، وكتب فصوله الاخرى السيد اوجينيو دورس Eugenio d'Ors عضو الاكاديمية الاسبانية. وعنوان الكتاب : تقويم الفنون Almanach des Arts اصدره الناشر Fayard في باريس عام ١٩٣٧ .

وانه ليسر « الاديب » ان تظهر قراءها على هذه الناحية من حياة السيد لاسين الخصبة ، الذي لا تنسيه مشاغله السياسية والادارية انه كان ولم يزل من المبرزين في علم الاستاطيقي وفي النقد والتوجيه الفنيين ، تشهد بذلك مؤلفاته عن مشاهير المصورين Daumier و Toulouse-Lautrec و Tintoret المطبوعة في باريس ، وترجماتها في الانكليزية والالمانية . وقد نشرت له مباحث قيمة في الصحف والمجلات الفنية التالية : Amour de l'Art و Prométhée و Beaux-Arts و La Renaissance و L'Art Sacré . وسبق له ان قام بتنظيم قسم « الفن والعلم » بمعرض ١٩٣٧ في الـ Grand-Palais بباريس . وكان معتمد الحكومة الفرنسية في المعرض الدولي للفن الديني في فيتوريو (اسبانيا) . وساهم فيما عدا ذلك ، مع فريق من النقاد الفنيين ، في تنظيم عدد غير قليل من المعارض التي ظهرت فيها آثار الشباب من ارباب الفن . ولعل اخر ما اضطلع به في هذا الباب تدريسه عام ١٩٤٠ في معهد « الدروس الفرنسية العليا » ببخارست الذي عينه استاذاً لتاريخ الفن الفرنسي والمدنية الفرنسية ، وهناك الف كتاباً في تاريخ الفن في رومانيا .

◆

لم يتعود نقدة الفن ان يعطوا في ختام كل سنة ، كالتلاميذ على مقاعد الدرس ، مختصراً مما شاهدوه وتعلموه . فليس يهم تلخيص ظاهرات الفن الغابرة بمقدار ما يهم تعيين الغاية التي اوصلتنا اليها تلك الظاهرات . بيد ان هذا الحساب الذي يفرضه الضمير على ذاته لن يذهب باطلا ، بل هو ضروري حينما نكون ، كما نحن اليوم ، على وشك ان نخوض معركة طويلة الأمد طخياء ، لكن قد تطلع من ظلماتها صورة انسان الغد . ليس الفن من النوافل ، وان يسعه ان يظل محلقاً فوق منازعاتنا . فلا نكتم انفسنا ان ما نجاهد لاجله ليس اسباب معيشتنا المادية فقط ، بل اسباب حياتنا الروحية ايضاً . وان خوفنا نتائج قوة غاشمة منطلقة من كل قيد، لأيسر من خوفنا طغياناً فكرياً يريدوننا ان ننوء بعبئه . فلا طغيان في الواقع الا طغيان الفكر . وانه لم يأت علينا زمن كهذا الزمن، يحتم علينا ان نجمع شعث قوانا، وان نلقي نظراً صحيحاً على موقفنا وعلى مختلف السبل الممتدة امامنا، ثم نختار سبيلا واحدة، هي السبيل التي لا يضحى فيها من الذات الانسانية شيء ، حتى وان أكرهنا على ان نسلك وحدنا ، هذه السبيل ، في حرب جائرة .

●

حينما نمارس فن النقد ، اي بعبارة اخرى ، حينما نتناول حقيقة المادة الحية وقد استحالت خلقاً بشرياً بجهود رجال الفن ، يساور نفوسنا في الغالب ضرب من القلق : ترى، ما هذا الذي نأتي به ؟ ماذا نعطي من ذاتنا وما قيمة هذه العطية ؟ وكثيراً ما نكتفي بتحديد المسألة التي تطرح علينا ، باسطين مناقضاتنا الشخصية . وليست تعوزنا الحجج للتهرب من التبعات ، فنقول مثلاً : « يجب ان نوفر لكل امريء وسائل الاختيار، وان نترك له حرية الخيار . » فما قولكم اذا ضل القاري طريقه بين شتى الشروح ، فأصبح لا يكلف نفسه مؤنة الاختيار ؟

نقول ايضاً : « يجب ان نتحاشى اضافة اي شيء الى العمل الابداعي ، مخافة ان يتنكر بما نضيفه اليه . » كأننا لا نشهد كل يوم، الاسطورة تزاد على التاريخ، او لا نرى ان لا من قيمة للحوادث الا بقدر ما تتبلور فيها امكانات الابداع الموزعة في الجمهور .

او : « يجب ان نقول كل شيء ، حتى ما يبدو غير مهم ، فقد يهم هذا اناساً آخرين . . يجب ان نكون منصفين .» لكنني اوثر وحدة فكري .

إن يكن هنالك ازمنة اجدت فيها نفعاً طرق التفكير البطيئة، كتلك الخاتمة البورجوازية للقرن التاسع عشر ، التي بدت مؤآتية للنقاش المتبذل في ظلال الامن والدعة، فأن ثمة أزمنة كزماننا، تفرض علينا مجهوداً لا هوادة فيه، لاقامة الدليل القاطع والاتيان بالقول الفصل . .

أتكون الطريقة المثلى لخدمة النبوغ ، ان يحاط بهذا الكثير الاكثر من الاجلال والرعاية ، وبهذا القليل الاقل من الحرارة والحماسة ؟ اذا ألحق كل نقد بالخلق او العمل الابداعي بحجة انه ليس للنقد دائرة خاصة به ، بل هو مظهر طفيلي للعمل الابداعي نفسه ، ثم اذا سُخر النقد فقط لتبيان ما هو مدرك من العمل الابداعي مباشرة ، فقد نستطيع اذن ان ننزل الابداع الى مستوى الجمهور الادنى (لكن هل يظل خلقاً او ابداعاً ؟) إن لم نستطع جعله في متناول ذلك الجمهور . وقد نعطي شروحاً دقيقة تارة ، وظريفة تارة اخرى (لكن أهذا هو النقد ؟)

على كل ، كاد هذا يكون جماع ما صنع منذ قرن كامل أحيل النقد خلاله من تأويل تركيبي الى تحليل متوزع لا يفتأ يزداد توزعاً ، نعني شرحاً للعالم في كل تفاصيله الخسيسة . لقد اصبح النقد وهو يفسر كل شيء ، محيطاً بجميع المصادر والتأثيرات ، حتى اذا بلغ ما ليس يفسر في العبقرية ، انزلها من رفعتها ، او كان لها جاحداً ، بحيث لا يبقى من العمل الابداعي سوى مظهره السطحي الذي يسع كل انسان ان يدركه ويعيه بقليل من الاعتياد واللباقة . فما كان معزولاً في الهوامش تتألف اليوم منه المتون . وما اكثر من عرفنا من البحاثين الذين يحسبون انهم مؤرخون لغزارة ما جمعوه من ارقام ، ومن خريجات مدرسة « اللوفر » اللواتي ارتجلن انفسهن نقدة ، لانهن يعرفن تراجم كل المصورين . اما مدار فخر هذه الفئة ففي الوصف ، اي فيما يسع الناس جميعاً ان يروه دون الاستعانة بنظارتي الناقد .

والذي يخدع عن حقيقة هذا النوع من الكلام نسبته الى نقاد نابغة . فلا مندوحة لنا عن التسليم بسوء ما اعقبته أبوة « سنت بوف » ونظريته في الصلة الوثيقة بين الكاتب وكتابته من نسل غير ميمون النقيبة . فأن من طريقة « سنت بوف » في النقد ، على سطوع نجمه فيها ، نشأت هذه المتعة الدنيئة التي نحسها في الحط من شأن العظماء ، وفي التنقير عن أخفى اسرارهم ، وفي تدنيس أنبل الصور وأسماها . وعن «سنت بوف» اخذنا التخليط على انواعه ، من التذرع باللاوعي الى التحاليل العلمية . كأن ندّعي مثلا معرفة آل روغون — ما كار جميعاً من فحصنا الفسيولوجي للراوية زولا ، وان نفسر لوحات « غريكو » التصويرية بعاهة في بصره . (قد تؤدي هذه الاساليب في النقد الادبي او الفني بعض الخدم ، لكن اذا وضعت في موضعها . ولسنا نخاف لومة لائم بالشطط او الغلو اذا اطنبنا في تقريظ تاريخ الادب الفرنسي الذي وضعه الفاضل « لانسون » وقد اقتصر المؤلف من تراجم الادباء على بضعة اسطر القاها في هامش الصفحات) .

●

يقولون لنا : لا بدّ من معرفة سيرة المؤلف لاكتناه «الاشخاص» الذين قد يكون أعار وجوههم سيماه وسيماء من يعايشونه . لكن أثمة كتاب لم يودعه الكاتب طرفاً منه ؟ لا سبيل الى التفريق بين الحقيقة والخيال ، وان في امتزاج هذين العنصرين اهمية الخلق الادبي . كذلك المصوّر ، فهو يكشف عن ذاته ، بطريقته في التصوير ، اكثر مما تكشف اية حكاية حال يبث فيها مكنونات فؤاده . ولنضرب المثل الاقصى : في وسعنا ان نعرف « دلا كروا » اجود معرفة لو لم توجد مذكراته ورسائله على كبر شأنها ، لكن ليس في وسعنا ان نعرفه مطلقاً لولا رسومه . وعلى كل ، فمن الحسن ان نضبط معاني الالفاظ التي نستعملها . فاذا قيل ان لا قيمة لأثر من الآثار الفنية ، الا بما يكشفه لنا من دخيلة صاحبه ، كنا على اتفاق . بيد انه ما من قيمة الا لهذا الكشف الذي يوفق الى صورته الباقية في العمل الفني . ومالا يعبّر عنه لا قدرة لنا على احيائه ، مهما اصطنعنا لذلك من اساليب ، ولن يكون لاكتشافاتنا وشروحنا جميعاً سوى قيمة عارضة . وليس ادلّ على هذا من ان هنالك آثاراً فنية رائعة ، من بقايا مدنيات دارسة ، ما زالت ملء الابصار ، لم تخسر من عظمتها ولا من قيمتها شيئاً ، بحيث لو لم نكن على علم بكل ما يكتنف نشأتها من اعراض مادية ، لكانت الصورة الثابتة التي تمثل فيها ، كافية لان تلج بنا الى قلب تلك المدنية في مجموعها وان تظهرنا ، من الانسان الذي استنبطها ، على افضل مزاياه .

●

ان الاساس الوحيد الذي يصح ان يبنى عليه النقد هو ان يتذرع برأي في الصيغة او الشكل لا يدع مجالا لعنت المذهب الانطباعي ولا لنسبية المعلومات التاريخية ، نعني : دستوراً مرتبطاً بفلسفة عامة يُفرق فيها بين نظريتي الشكل الباقي والعرض الزائل . لا يصح ان يكون النقد شيئاً غير فلسفة الأدب والفنون الجميلة .

●

لو شئنا ان نعطي من الحادث الفني صورة مختزلة قريبة الى الصحة ، لوجب ان نمثله على هذا الشكل (وهو يصدق على جميع مظاهر الفن : التصويري والادبي وهلم جرا) ان رجال الفن المبدعين هم كقمم الجبال المنعزلة . فعلى النقد ان يخط بين الفجوات طريقاً توصل الى المرتفعات ، وتصل القمم بعضها ببعض . فالمبدع يفتح فتحاً ، والناقد يستعمر

استعماراً. لكن لا ينبغي للناقد كي يهون عمله، ان يجهد لتمهيد القمم او توطئتها، بل على الضد، لا سبيل الى السمو بانفسنا وتشييد مدنية تذهب صعداً، الا اذا قبسنا كل بارق من عبقرية ينير بشعاعه الساطع احدى مشاكل الانسان. ان ما يهمنا، بالدرجة الاولى، هي تلك البرهة من الزمن التي يعرج فيها رجل الفن الى سماء الخلق او الابداع، وليس ما يشارك فيه سائر الناس.

لقد ضقنا ذرعاً بأولئك النقدة المسفين الذين لا يحيكون نسيجهم على مقياس النابغة، بل على مقياس اجسامهم، فيحطون الى مستواهم كل ما هو سام وشريف.. اولئك النقدة الذين يقفون مشدوهين، ثم يسترسلون في ترداد ما قيل وشرح وعُلم الف مرة، لكن افئدتهم تظل مقفلة دون ما في الحاضر من عظيم وجليل. وهكذا، فان عصرنا الذي لا هم له الا ترميم الماضي، اصبح وهو يحوط ذاته بهذا الماضي كحرس يحتمي به من نفسه، طالباً الدفء في هذه الحرارة الفاترة، غير نائل من الماضي ومن الحاضر، الا ما تخلفه النار من رمادها.

ينبغي ان نختار الآن بين نقد حي وهذا النقد الميت الذي يقضي على كل صنيع فني، ولا يستبقي منه سوى غلافه الزائل الشائع في الآثار الفنية جميعاً. فالمهمة الاولى هي ان نبعث النقد حياً، لا ان نسترقه. كذلك نحيي الكون ونعيد اليه روح الابداع ونظام الفكرة على السواء.

ج. لاسين

اعذب الشعر

◆

ايا قبلة مرّت على شفتيّ فمي ... كطيف حبيبٍ مرّ في الحلم وانطلق
فأجرت به نهراً من الحب والجوى ... تدفّق ناراً في عروقي الى الرمق
ملكتِ شعوري اذ ملأتِ جوارحي ... لكِ الله اني في ذهولٍ وفي غرق
اقضّي نهاري في انقباضٍ وريبةٍ ... ويشتدّ بي وجدي اذا اقبل الغسق
اذا قدمت خفّ اللهيب بمهجتي ... وان غادرتني عاودت مُهجتي الحُرق
اقول لقلبي انها الصدق في الهوى ... وفي قلبها حبٌ لغيرك ما خفق
فآمن بها، آمن بما في عيونها ... الم ترها ارغى بها الماءُ واحترق
ويا بصري حد مرة عن طريقها ... كأنك ممدود بخيطٍ من القلق
ويا شعراء الارض ما أصدقَ الندى ... اذا ابتسمت ليلى وما اكذب الورق
وان نظرت ما ابلغ الشعر صامتاً ... وان نطقت ما أعذب الشعر ان نطق
مررتُ بألوانِ الكلام ووهجه ... فما جاز عيني ثم مات على الحدق
كغيم خفيف يمسحُ النورُ وجهه ... لأولى رياح الليل ينحل في الشفق
فيا أذنُ لا تخدعكِ في القول بهجة ... ويا قلبُ علّم اعذبُ الشعر ما صدق

الياس ابو شبكة

حبال الهواء

بقلم
الدكتور نقولا فياض

وما حبال الهواء ؟ وهل اخف مادة وألطف جوهراً وأوهى هيولى من هذه الخيوط الوهمية ؟ ومع ذلك فكم لها من فضل على الانسان ؟

من امثال العوام « الغريق يتعلق بحبال الهواء » وكلنا في هذا الوجود ذلك الغريق، من الباحث المجد الى الطبيب المجاهد، الى الجندي المقاتل، الى العاشق المتيم، الى التاجر والزارع، الى المسافر، الى كل ذي عمل في الحياة .

يقول « اناتول فرانس » ان احسن ما في الحياة هو هذا الشيء الذي ليس من الحياة والذي يفتح لنا آفاق الامال والاحلام .

ما هو هذا الشيء الغريب عن الحياة اللازم لها والذي لا يمكن العلم ان يعطينا اياه ؟

هو الايمان، لانه وحده يمد الى الناس حبال الامل يتعلقون بها كلما ساورهم الضعف ، على رجاء ان يبدل مجرى الامور ويفرج الكرب عن الصدور . وقد قال تولستوي « اذا عاش الانسان فلأنه يؤمن بشيء » .

قد يتبادر الى الذهن ان العلم والايمان ضدان لا يتفقان لما بينهما من الخلاف في الظاهر. فالعلم يقول للمرء : المس بيديك وانظر بعينيك وزن وقس واحسب وقارع الحجة بالحجة ولا تقبل رأياً بلا برهان . والايمان يقول : لا تبحث ولا تمل ولا تجهد الفكر فتنزع السلام من قلبك دون ان تجلب الراحة لعقلك :

وبين هذين الصوتين المتناقضين مشى الباحث المفكر يلتفت تارة يميناً وطوراً شمالاً، وهو يتمنى لو اتيح له الجمع بينهما .

على ان الجمع بينهما غير مستحيل لان كل فتح للعلم من شأنه اعلاء الانسانية هو نتيجة جهود طويلة قامت على الامل والصبر والتضحية . والامل والصبر والتضحية هي جنود الايمان ولولاها لما حمل الفاتحون اكاليل الغار .

هنا يحق لنا ان نتساءل : هل من وسائل اخرى غير الاختبار للوصول الى الحقيقة او بعبارة ثانية هل يكون العقل النافذة الوحيدة التي تلج منها الحقيقة الى الانسان ؟ وهل الانسان كله عقل ؟ ولو فرضنا انه اتم طوافه حول الاشياء التي يمكنه التعرف اليها فهل يكفيه ان يعيش بما يعرف ؟

لا ريب ان الانسان مشى خطى واسعة في سبيل الارتقاء ورائده العلم، فافتتح قسماً كبيراً من المجهول، وكثيراً ما اراق الدم في سبيله . ولكن على الرغم من اكتشاف المكروب والدورة الدموية والبخار والكهربائية وما اليها لا تزال الحياة سراً غامضاً حتى حياة النبات الادنى . هناك ، مظلم يزيد ظلاماً كلما ارتقت الحياة، فالجهاز العصبي والافعال المنتكسة لا تزال مطمح انظار حثين . الخلية النباتية سر، والخلية العصبية سر اكبر . والدماغ؟ قد نعرف ماهي المعادن الموجودة شمس لكننا لا نعرف ما في الدماغ . فبين الدرس الفيسيولوجي اي الوضعي والبسيكولوجي الروحاني هاوية . ولو اكتفينا بالعلوم الوضعية لما استطعنا معرفة شيء .

للانسان ادوات لمعرفة العالم الخارجي . فالعين ترى والاذن تسمع وكل حاسة تختلف عن اها وتشعر بما لا تشعر به الحاسة الاخرى . كذلك للانسان وسائل لا نعرفها يشرف بها على الروح او العقل . فلو اردنا الاكتفاء بالعلم لحرمناه معونة هذه الوسائل الخفية كما لو قلعنا ن وسددنا الاذن وقلنا للمس كن انت قائدنا الوحيد

لا تجوز المبالغة في شيء فالافراط مضر كالتفريط . ولنا دليل على ذلك في تقشف الهنود فقد كانت الغاية منه تطهير الطبيعة البشرية ، فانتهوا الى افسادها ، وايجاد حياة زائلة طليقة من النظام ، اسيرة للاعراض . فاذا اكتفينا بالمعارف العلمية بدلاً من سائر الينابيع التي يمكن ارتياد الحقيقة منها فقد خلقنا نوعا من التقشف الهندي وافسدنا الطبيعة وجرنا عن قصد السبيل .

ومن ينكر ان بنا منذ اليوم بعضاً من نتائج هذا الجور والخلل في النظام ؟ فقد اصبح الكفر وكره العمل والبعد عن الملذات اللطيفة التي اباحتها الطبيعة والبحث عن تأثيرات مرضية مجهولة داء الطبقات الراقية ، ولم يبق للاخرين الا التشبه بهم ، فاضاعوا الامل واصبحوا يعيشون ليومهم ومن غدهم طمعا بالتمتع ، مطلقين لشهواتهم العنان .

والكفر ما هو ؟ هو ان تجرد القلب من شعوره ، والضمير من مخاوفه ، وتعري الفكر من الخيال ، وتخلع عنه الشعر الذي يكسب الاشياء جمالا وعطرا . فلا يبقى حاكما الا (العقل) ويصير العلم كاطار فارغ . وعلى الازهار اليابسة والامال الضائعة ، وكل مـا هو حب وخيال ، يرف اسف الجمود . وقد يتحول الاسف الى تمرد وثورة فيامن الانسان (العقل) ويتمنى لو يعود الى سابق جهله وظلمة ماضيه .

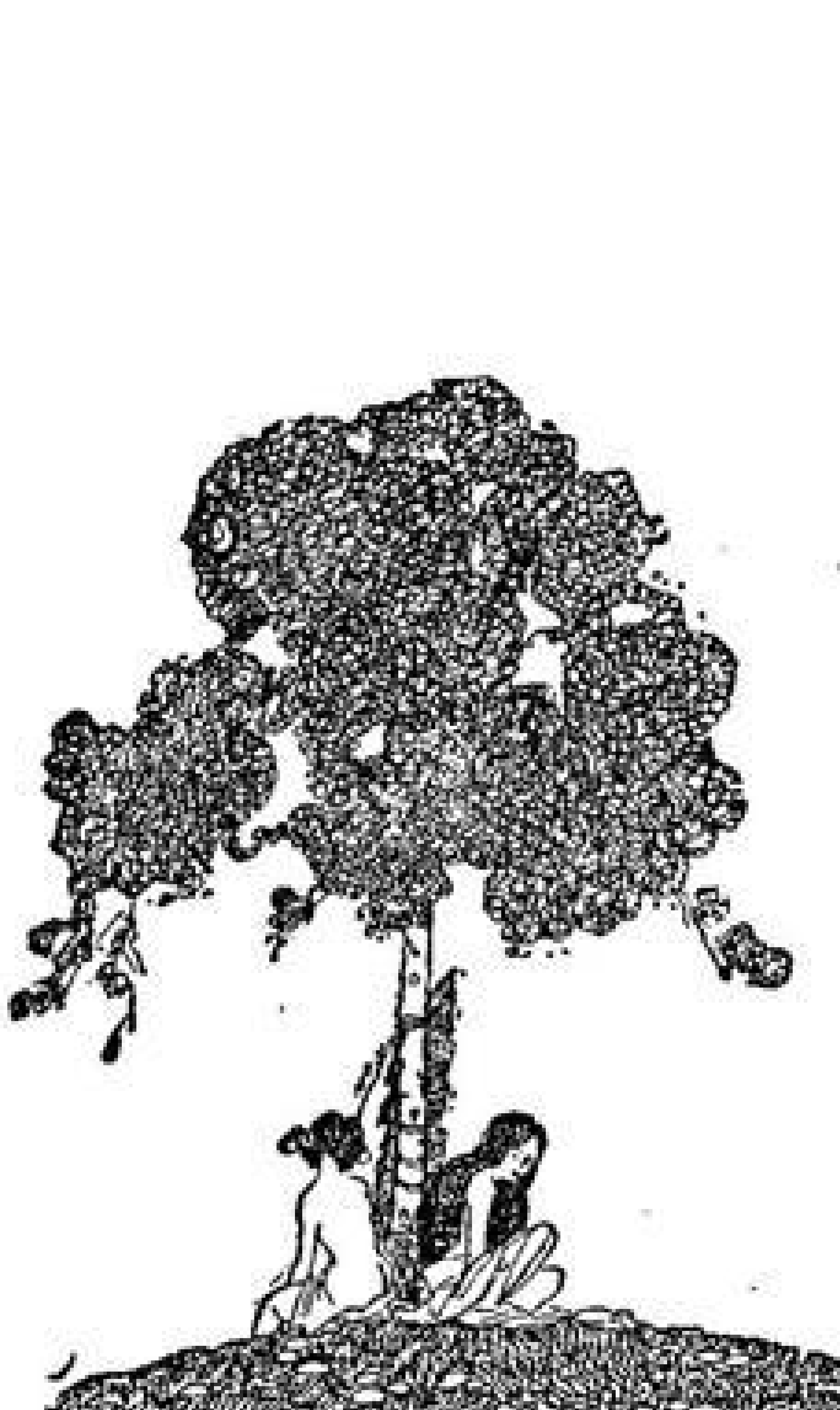
اجل لم يكن العلم ليشبع الانسان لان العقل يطلب اكثر من ذلك . الانسان لا يعيش بما يعرف ولا يمكنه ان يعيش لان فيه شيئا آخر غير المعرفة . خذ مثلا الخير والحب والاخلاص والصداقة فهي في نظر العلم لا شيء ومع ذلك فالانسان يحيا بها مع انكاره ما ينكر العلم . كذلك العناية بالضعيف والمسكين المطروحين كبقايا السفن على شاطىء الحياة فان العلم لا يقبل بها ولا يفهم معنى للرحمة .

نحن اذن امام امر واقع نجد فيه كل شرائعنا وتقاليدنا واذواقنا العصرية في تناقض مع العلم . والعلم يحسب هذه الاعمال جنوناً وهو مع ذلك يساعد بكل ما لديه لخدمة هذا الجنون .
ذلك لان في النفس البشرية حقائق غير التي ايدها العلم ، والسليقة التي لا تخدع تدفعنا الى اسعاد الضعيف والشقي كأن شيئاً يقول لنا : ان اشقى الناس مقدس بشقائه ، لحمه من لحمنا ودمه من دمنا . كلنا نتألم لجراح هذه الاعضاء ، ولهذا السبب جعلنا الاخرين اولـين وكان اضطهاد الضعيف والقسوة مع المسكين وضرب الولد القاصر جرائم لا تغتفر .

ما هو الواجب ؟ لا تطلب من العلم ان يجيبك على هذا السؤال فهو لا يعرفه وجل ما نصل اليه بعد التحليل هو الادب النفعي . واذا بلغ الواجب مراتب التضحية زاد غموضاً فكان الشهيد في نظر العلم رجلاً مختل الشعور . وهكذا تهبط اجمل الاعمال الى درجة الاعراض المرضية حتى الاستشهاد في سبيل العلم نفسه . فهذا العلم الذي مات ويموت الناس من اجله لا يرى في شهدائه غير الجنون . وحسبنا ذلك دليلا على اننا لا نعيش بالمعرفة فقط . وان القوى التي تصرف العالم خارجة عن العلم ، فهي داخلة في منطقة الايمان . واذا نحن ذكرنا (الايمان) فلا نقصد الايمان الاجباري الذي يضع امام الانسان نظاماً ويأمره باتباعه مغمض العينين . ان عالم الايمان ليس بغريب ولا ببعيد عنا فهو في الحق والعدل والجمال وهو في خبرة الايام والاجيال وهو الذي يقول لنا : سيروا الى ابعد ما تصلون واسموا الى اعلى ما تستطيعون ! هذا الايمان لا يقاص من ثال العلم ولا العلم يقاص من ظاله . ولو كان العلم عدواً له لقلنا للعلماء : دعونا وشأننا . اعيدوا لنا الظلال الشعرية التي عاش فيها اباؤنا يضحكون ويطربون . اعيـدوا السماء القريبة من رؤوسنا ، اعيدوا ارواح اجدادنا وفضائلهم وآمالهم وخذوا علماً ليس وراءه الا العدم .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولـم يسمر بمكـة سامـر

ولكن الواقع هو لحسن حظ البشر غير هذا . فقد خلق (الايمان) للانسان كما خلق الغناء للعصفور والعطر للزهور . وهذه حبال الهواء لا تزال ماثلة لديه ، ماثلة عينيه ، تمنيه بأجمـل الوعود وتفتح له الباب المرصود .



نقولا فياض

مدنية وبربرية

بعد الحرب العظمى الماضية عاش العالم ، خلال عشرة اعوام ونيف ، في جو من التفاؤل لاتكاد تشوبه سحابة من تلك السحب السوداء التي تنذر بالويل ، ثم تقطر دماً . كانت تجتازه احياناً سحب صيفية ، لكنها لا تلبث ان تنقشع وتزول . ولقد خيل للناس في تلك الفترة التي لم يطل زمنها ، ان العلاقات بين الامم والحكومات آخذة في الاستقرار على اسس راسخة من التضامن والتعاون ، او على الاقل من حسن الجوار . ولعل هذا التفاؤل الذي أثبتت خطأه الاحداث القريبة، احد العوامل المسؤولة بالواسطة ان لم يكن مباشرة ، عن الصدام المدمر الدامي الذي يعاني الخلق من بأسائه ما يعانون ، ولا ندري في أية مرحلة نحن اليوم ، من مراحله الصعبة الكؤود .

بينما كانت الالسنة ، خلال تلك الاعوام الرغدة ، لاهجة بالحق الدولي وبعصبة الامم ، والضمائر مطمئنة الى الرأي القائل بان كل حرب ، مهما تكن أسبابها ونتائجها ، هي صفقة خاسرة للغالب والمغلوب على السواء ، وبينما كانت الديمقراطيات الغربية تنفق مواردها عن سعة في مطالب الحياة السلمية ومرافقها ، كانت الحكومات النازية ، ليل نهار ، سراً او علانية ، تعد عدتها وتأخذ أهبتها ، كي تطلع على العالم في الوقت الذي تختاره ، بجهازها الحربي العظيم وشره المستطير . وليس أدل على هذه الحقيقة الرائعة من البون الشاسع من حيث الاستعداد الحربي ، بين الديمقراطيات وخصومها المعتدين المغيرين — ذلك البون الشاسع الذي ظهرت آثاره منذ معارك سنة ١٩٣٩ وما تلاها . ترى ، أتكون الديمقراطيات قد ارادت حرباً كهذه الحرب التي يتوقف على نتيجتها الحاسمة مستقبل العالم اجيالا متطاولة ، وهي لم تعد لها العدة ، ولم تأخذ الاهبة ، في حين ان الحكومات النازية قد أدخلت مسوقة مرغمة في غمار هذه الحرب الضروس وهي التي قضت أعواماً في اعدادها والتأهب لها ، جاعلة المانيا من اقصاها الى اقصاها ، معملا لصنع السلاح ، وثكنة لتجييش الجيوش ؟ اللهم لا .. الا ان يقال مثلا ان على كاهل الديمقراطية تقع تبعة هذه الحرب العالمية ، ولماذا ؟ لان الديمقراطية لم تضعف ولم تهن عزيمتها ، فصمدت في وجه الجهاز الحربي الجبار الذي أعدته النازية لاجتياح البلدان المطمئنة بحجة المجال الحيوي ، وللسيطرة على الشعوب المستضعفة بحجة الافضلية الجنسية ، ثم لا تلبث ان تبسط على الدنيا ومن فيها سلطنة جرمانية مستمدة من حق القوة ، وحق المادة ، وحق الاثرة ، وحقوق اخرى من هذا الطراز ، لاظل للحق فيها ، ولا للخير ، ولا للعدل ، ولا لمبدأ من المبادىء التي تجعل للحياة قيمة . ان اوربة تختبر ، منذ نحو عامين ، اختباراً موجعاً ، بوادر ذلك النظام الجديد الذي تمني النازية العالم بتحقيقه ، والذي كان يخشى تحقيقه فعلا لولا صمود الامم الانكلوسكسونية في الغرب ، واستبسال الشعب الروسي في الشرق ، ونشاط القوى الحرة في البلدان الاوربية وفي طليعتها فرنسة ، كما تنشط القوى الكامنة في احشاء الارض منذرة بانفجار البركان . وهكذا أثبتت الاحداث المتوالية منذ بدء هذه الحرب انه لم يزل في العالم حماة للمدنية وانصار للترقي الانساني ، يضحون بكل غال ونفيس لصيانة المثل العليا التي تستهدفها البشرية من اقدم ازمنة التاريخ ، وفي رأس هذه المثل العليا العدل والحرية والرفاه للامم والافراد جميعاً ، اكثر ما يمكن من العدل والحرية والرفاه .

والواقع ان الخلاف بين الديمقراطية والنازية ليس خلافاً موقتاً عارضاً بين اسلوب في الحكم واسلوب ، او بين مذهب في السياسة ومذهب . انما هو خلاف اساسي يتناول اصل المدنية وعلاقة الانسان بالانسان مجتمعاً ومنفرداً . ما هو الموقف الذي يقفه كل من هذين المبدأين او النظامين بازاء ما يسمونه : الطبيعة — الطبيعة بقواها الخفية والظاهرة ، ولا سيما بنواميسها المعروفة والمجهولة ؟ واذا قلنا : المجهولة ، فنحن نعني بالبداهة ، تلك الدائرة التي كانت في مستهل التاريخ شاملة كل شيء ، مستسرة في كل شيء ، كالظلمة التي غمرت الخليقة في البدء ، قبل ان يقول الله للنور : « كن ! » فكان . ثم اخذت الدائرة اللامتناهية تبرز حدودها ومعالمها ، وتضيق وتتضاءل بتقدم المعارف الانسانية ، وبسيطرة البشر على قوى الطبيعة وتسخيرها لمرافقهم وحاجاتهم .

ولايضاح هذه الحقيقة ، لا بد من ان نذكر القراء بان فلاسفة الالمان ودعاة الجرمانية الذين تبعوهم ، يصرحون بوجوب احلال الشرع البيولوجي او الطبيعي محل الشرع الدولي او المدني . فالحق الطبيعي على حد قولهم سابق لكل مدنية ، وهو مبني على القوة ،

ولا تعرف الطبيعة حقاً سواه . ان الذئب يفترس النعجة، والطاهية تذبح الارنب ، عملا باحكام تلك الشريعة . ولما كان الالمان يعتقدون في انفسهم افضلية على سائر البشر كأفضلية الذئب على النعجة ، او كأفضلية الطاهية على الارنب ، فلا بدع ان يكون لهم بازاء سائر الامم تلك الحقوق ، وعلى سائر الامم نحوهم ما يقابلها من الواجبات . وان شعباً هذا شأنه يؤمن بافضليته الجنسية على شعوب الارض ، ويعزز هذه الافضلية بما يزعم من رسالة الهية ، لا يمكن ان يسلم بمبدأ من مبادىء الحق والخير والعدل ، وان يكون مرتبطاً بعهد او ذمة او ميثاق . ومن الخطأ الفاحش ان يكتفى بالاحتجاج على ذهنية اثيمة كهذه ، كما انه من العبث استنكار العمل الوحشي الذي يأتيه الذئب نحو اخيه الخروف، او الاحتجاج عليه . . يجب ان تعرف تلك الذهنية حق معرفتها ، وان يتوسل العالم المتمدن بما في ميسوره من الوسائل ، لدفع غائلتها ومنع اذيتها ، لا ان يعيش في جو من التفاؤل الآفن ، والطمأنينة الخادعة .

منذ قال تاسيت : « ان الجرمان يكرهون السلام » مرت قرون واجيال . فماذا يقول هتلر اليوم ؟

يقول ما نصه . « ان الحرب شيء طبيعي . ان الحرب هي مادة كل يوم . ان الحرب ازلية سرمدية . ان الحرب هي الحياة . » وليثبت هتلر للملأ عامة ان الخلاف ، كل الخلاف بين الديمقراطية والنازية ، انما يرجع الى الموقف الذي يقفه اولا واخيراً ، كل من هذين المبدأين او النظامين ، بازاء ما نسميه المدنية ، يقول الطاغية لشعبه : « يجب ان نكون برابرة ! . » ولكن هل يحتاج الجرمان الى ان يغلبوا طبعهم كثيراً كي يصبحوا برابرة ؟

تلك حرب البربرية على المدنية ، لم تعلن ولا يمكن ان تعلن بابلغ من هذه الصراحة الوقاح . .

« منظوع »

في التصوير الفوتوغرافي

تقوم دائرة المطبوعات في دمشق بتنظيم مسابقة فوتوغرافية ممهورة بعدة جوائز . وتشتمل هذه المسابقة على الانواع الخمسة التالية : ١ — مناظر سوريا . ٢ — الآثار . ٣ — الاعمال الاجتماعية (كالاسعاف والمستشفيات والمستوصفات وغيرها) ٤ — الزراعة (كالاشغال المائية، ومنتجات التربة والازهار ، والثمار، وغيرها) ٥ — الصناعات المحلية (كالاشغال اليدوية والاجهزة الصناعية) .

وفي كل من هذه تمنح جائزة اولى وجائزة ثانية وجائزتان اخريان . وتقبل مباراة المحترفين والهواة معاً ، ولم يحدد عدد المسابقات التي يستطيع المتباري ان يقدمها .

وستتألف لجنة برئاسة الجنرال كوله ، ممثل المندوب العام ومفوض رئيس الفرنسيين الاحرار لدى حكومة سوريا ، ومن مختلف الشخصيات ورجال الفن الذين ستنشر اسماؤهم فيما بعد . ويجب ان يكون قياس الصور الفوتوغرافية المقدمة مقدار ١٨ — ٢٤ على الاقل ، ولكن يجب ان يبقى لهذه الصور مجال لتكبيرها حتى قياس ٣٦ — ٤٨ .

ويجب على المتبارين ان يقدموا الى اللجنة نسختين من كل مسابقة، بالقياس الذي يعتمدونه، ويكون لهذه اللجنة الحق في استعمال الصورة كما يروق لها، كنشرها في كتاب مخصص لبث الدعاية لاجل سوريا، او عرضها في سوريا وفي الخارج، ولكن لا يكون للجنة اي حق في بيعها او استثمارها لربح ما .

وسيصير ارجاع النسخة السلبية الى المتباري اذا شاء . وسيكتب اسم المصور تحت كل نسخة .

ويجب على المتبارين ان يسلموا صورهم مع النسخ السلبية الى مكتب المطبوعات ، وان يذكروا على ظهر كل نسخة وعلى الغلاف الذي يحتوي النسخة السلبية ما يلي :

ا — النوع : مثلا « آثار » . . « مناظر » وغير ذلك .

ب — موضوع الصورة : مثلا « مستوصف المصورين في دمشق » . . « منظر هيكل باخوس » الخ .

ج — التاريخ التقريبي للصورة .

وستجتمع اللجنة لمنح الجوائز . وسيفسح هذا الاجتماع السبيل الى احياء حفلة صغيرة . وقبل الاجتماع تستطيع الغاء بعض صور لا تراها اهلا للظهور في معرض عمومي .

يأس

الى يومكِ الاولِ
مددت يدي
ودغدغت حلم الغدِ
فلم يهف لي

اری في اللقاء السحيق
عصوراً تغيب
وتخفق في كل طيب
رجاء عميق

◆

ترى كان ذاك النوال
غداة السماح
وعبر الليالي الملاح
رؤى وخيال !

فافري بكلتا يديَّ
سجوف العشيَّ
لعل المساء الحيي
يطل عليَّ

◆



وفي الموعد المرهَفِ
لنا كل شيء
غيوب وآفاق فيء
وقلب وفي

انا يوم انت معي
وطئت الغيوم
وعمرت بين النجوم
قصوراً تعي

◆

ايمرع عمرَ الورود
ربيعٌ سخيٌّ
وفي الزعزع العبقريّ
يزوغ الوجود

ومن حفنة في يدي
جبلت الضياء
وافوت مني مساء
فكان غدي . . .

◆

ويغنى الندي الاغن
وفاء الديم
ومن كوة في العدم
يفيض الزمن

غدي، يا غداً ليس لي
اتمضي وفيك
حياة لمن يدعيك
وللاولِ . . . .

رشدي معلوف

الشاعر لورو دي بوسيس

في الساعة الثالثة من صبيحة الغد سألتقي بالصديقة « بيناسوس » في احد حقول « الكوت دازور » .

و « بيناسوس » هي الطائرة الجميلة ، ذات القد المدني الرشيق والاجنحة الظليلة البيضاء ، دقيقة الصنع منسجمة الهيكل كالسنونو ، الا انها تضمر في مراجلها المتكهربة بأس ثمانين ام عرقوب ونيف، ولسوف تكرع البترول كالفيلة لتتوارى بنا وراء الغيوم ، وتشمل حتى تسري في ظلمة الليل كالطيف .

اني برفقتها الى روما الكئيبة . . نعم الى عاصمة الارهاق ، فألقي من سمائها على الايطاليين كلمة الحق والحرية ، تلك التي حرمت عليهم منذ اعوجت قضبان « الفاشيو » كأنما الحرية خطيئة عظمى او ذنب مميت .

أليست الزمرة الفاشستية مصيبة في هذا التحريم ؟

نعم ! اذ لو اتيح للحرية المؤودة ان تبعث من ديامس روما كي تقول كلمتها لقوضت تلك الكلمة اركان الفاشستية ودكتها من اساسها، ولحطمت سلاسل الرق في اقل من بضع ساعات .

فالطغيان وحده، دون جميع النظم القائمة ، يرى نفسه مجبراً في سبيل حفظ الكيان والدفاع عن النفس ، على سحق حرية الفكر وافنائها .

ولا لوم على الطغاة اذا ما عاقبوا الاحرار على ايمانهم المطلق بالحرية وتعلقهم بكلمة الحق ، باشد وافظع من عقوبات القتلة والسفاحين ، اذ ان هذا هو طريقهم الاوحد الى استطراد البقاء .

وكيف يعقل ان يظل الطغيان قائما ، ومستأثراً بمصير الشعب الايطالي وحرياته دون ارهاب او ارهاق ، ودون ان يعول في تنفيذ ذلك على جيوش المرتزقة الخمسمائة بعد الالف ؟

فخطة الفاشستية واحدة، واذا ما سلكها المرء وجب عليه ان يهتف متشدقاً مع موسوليني بأعلى صوته :

« الحرية جيفة نتنة » !

وسبيل الفاشستية واحدة، اذا ما سار فيها المرء وجب عليه ان يحبذ مقتل الشهيد « ماتيوتي » ويضفر الغار على رؤوس قاتليه السفلة .

ووجب عليه ايضا ، ان يصفق طرباً لهلاك الروح الصحفية في ايطاليا، ولتشريد الوف المواطنين خارج الحدود دون اي محاكمة، وقتل الاخرين او زجهم في غياهب السجون . ووجب عليه ان يفاخر بالملايين المرصدة لمصلحة التجسس واعمال التحريض . بل وجب عليه المفاخرة ايضاً بسيف « ديموكليس » المعلق فوق رأسه ورأس كل واحد من الايطاليين ، حتى فوق رأس موسوليني نفسه .

لقد ادرك القائمون على النظام الفاشستي ان بقاء هذا النظام متوقف بالدرجة الاولى والاخيرة على توسيع نطاق الارهاب وتعميمه وتسليطه على الرؤوس فورا . لذلك فالظنين السياسي يؤخذ من سجنه الى غرفة التعذيب ، فاما ان يخرج منها وقد ازهقت روحه وسره معـاً ، واما احدهما ، فيذهب الى القبر ، او ينجو بجلده ويبوح بكل شيء ، وينتهي على الفور كل شيء . وهكذا فقد تحولت ايطاليا في خلال هذه السنوات الجائحة الى سجن فسيح حيث يتدرج الاولاد في معاقل الرق مقدسين سلاسلهم ممجدين قيودهم، فهم يقبلون السياط ويزدرون زملاءهم الاحرار .

ولقد اجبروهم في سن الثامنة على ارتداء بزة الجلادين ومنحوهم تهذيباً بربرياً مقتبساً من فضائل « اتيلا » وسجايا هولاكو وجنكيز خان .

اسمع وصايا الدوتشي للاحداث :

« اعشق البارودة . اعبد المتراليوز . اياك ونسيان الخنجر . . »

لقد لقنوهم ايضاً ان الانسان لا يملك حقاً من الحقوق ولن يملك منها سوى ما تتفضل به النظم الفاشستية عليه وتمنحه اياه حسب ما يتراءى لها .

ولكن على الرغم من كل ذلك فالامة الايطالية بأكثريتها الساحقة ليست راضية . والبرهان على ذلك تجده في الخوف الشامل من كل « وشوشة » او حركة ، وفي العقاب الصارم الذي تلقاه الشفاه حينما تهمس بمتنوحات فكر متوقد طليق . فالنظام الذي يعرف اين ترتكز قواه وتتوطد دعائمه ليس بحاجة الى هذا النوع من الارهاب ، ولا الى هذه الجيوش من الجواسيس والمرتزقة .

كنت في الخامسة والعشرين من عمري عندما عولت على ان انشر في الاوساط الايطالية سلسلة من الرسائل السرية نصف الشهرية . وكانت تتضمن دعوة صريحة الى التضامن الفعال لاسقاط الكيان الفاشستي وانقاذ الوطن الايطالي من قبضة الطغاة . واخذت هذه الرسائل السرية تنتشر بين الالوف حتى وصلت واحدة منها الى الدوتشي نفسه ، فأرعد وأزبد وراح يبث الارصاد ، لكن دون جدوى .

وكنت أقوم بهذه المهمة وحدي مدة خمسة اشهر ، فكنت احرر الرسائل واذيلها بكلمة « العمل القومي » وقد بلغت ستماية رسالة كل نصف شهر ، فأضعها بنفسي في البريد ، وكنت اطلب الى القـارىء ان ينسخ عنها ستة رسائل اخرى ويبعث بها بدوره الى ستة اشخـاص يعتقد فيهم حب الديمقراطية الحقة والاخلاص الاكيد لايطاليا .

ولاسباب خصوصية لا محل لذكرها الان اضطررت مرة الى السفر خارج ايطاليا فتطوع صديقي « ماريو فانسنجيرا » من المع الكتاب الذين عرفتهم ايطاليا وصديقاً له للقيام بالمهمة . وقد اخذا على عاتقهما كتابة الرسائل ووضعها في البريد . ولسوء الحظ داهمهما البوليس في الجرم المشهود . فادخلا غرفة التعذيب ، حيث جرد الاديب الكبير من ثيابه جميعا ، وسيط كما تساط العبيد ، ثم اخرج في ليلة باردة من ليالي كانون الاول وصلب على السطح حتى مطلع الشمس . اما رفيقه بنيتو دي غاما الموسيقي النادر فلم يعلم عنه شيء ، ولعلهم احرقوه حياً في الاتون ، كما جمدوا اوردة زميله في الصقيع على السطح .

— البقية على الصفحة ٥٢ —

عزلة الاديب

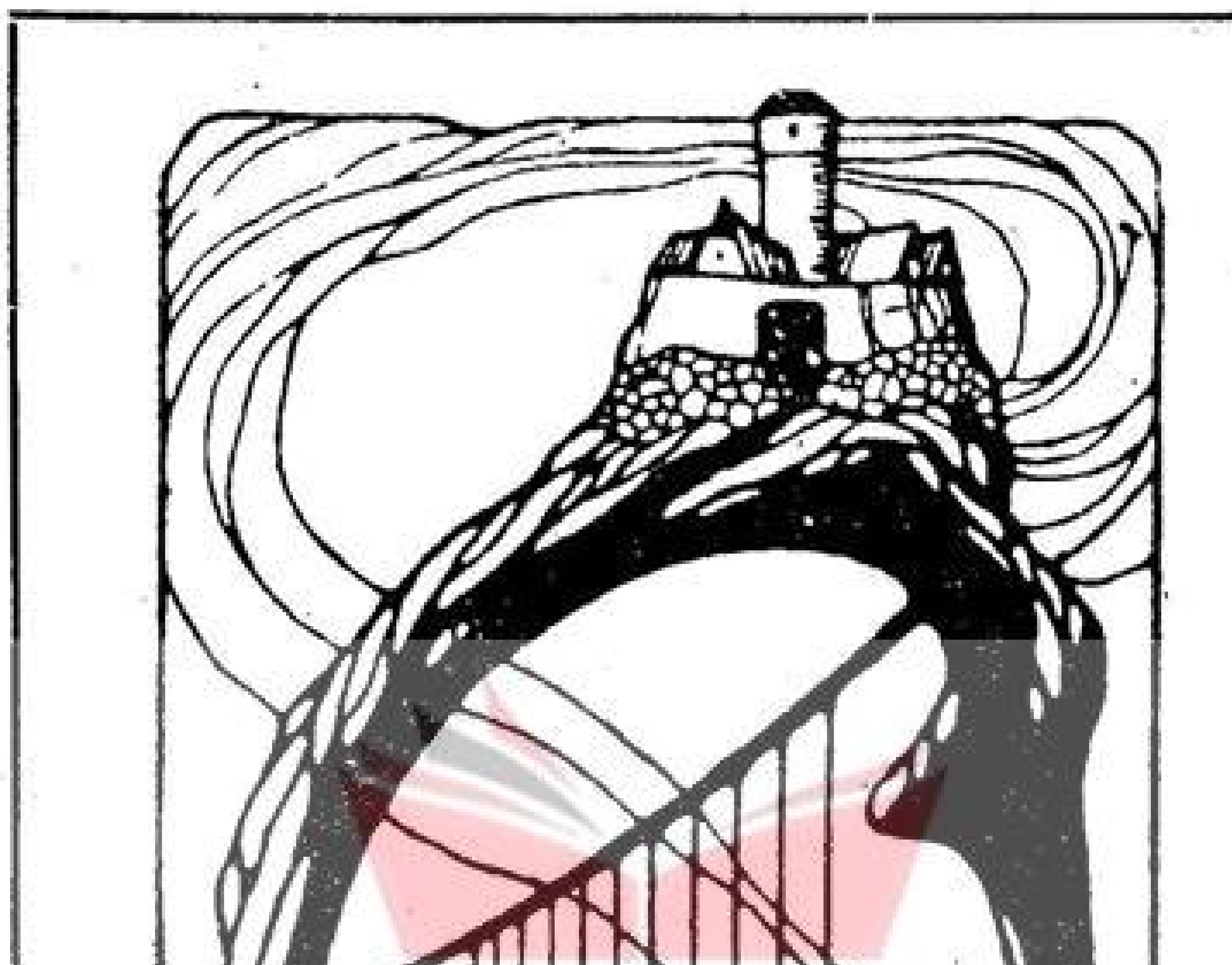
بقلم عمر فاخوري

- ٢ -

أحب ان استأنف هنا حديثي عن ذلك الاديب الاول الذي سولت له نفسه ، في ساعة من ساعات الشيطان ، بعد ان كان على اتصال حي يقظ مستمر ، بهؤلاء الخلق الذين طالما تحدث عنهم اليهم ، ان يقطع هذه الصلة وكل صلة ، فينفض كفه من تراب الدنيا طائعاً مختاراً ، ويترك الناس وهم يضطربون من فسيح ارجائها ، في مثل سم الخياط ، بين الملذات والآلام ، والهناء والشقاء ، والامل واليأس ، ما يبالي من امرهم شيئاً : لا لفرحهم يفرح ، ولا لحزنهم يحزن ، وليس لأي هم من همومهم الوقتية او الدائمة ، في صدره صدى . ولقد غادرناه يومذاك ، وهو يهم ان يعتزل في برجه العاجي القائم في عل ، فوق السحاب ، حيث لا يرى ولا يسمع الا بعض ما يسمع ويرى العملاق من دبيب النمل في مدارجها .

وليست العزلة التي نعنيها ، كعزلة الشعراء والفلاسفة وعامة اهل الفكر ، يحسون حاجة لا تدفع الى الفرار من ضوضاء العالم ومشاغله اليومية ، فيعتزلون اشهراً او اعواماً ، ليطلعوا علينا بعدها بروائع الفن والحكمة .. لا ، ان العزلة لهؤلاء واجبة لا مناص منها : واجبة نحو انفسهم ، ونحو عملهم ، وبالنتيجة نحو الناس الذين من اجلهم ينظم الشاعر ويفكر الحكيم .. لقد عنينا في مقالنا المقتضب عن الادب او الفن الاعتزالي ، ضرباً من العزلة هو كالقطيعة ، بل القطيعة بعينها ، في اوضح مظاهرها .

والواقع اني لم اتكلم عن هذا الآدمي في برجه العاجي طويلاً ، لسبب بسيط غاية في البساطة ، هو ان التاريخ لم ينقل الينا من انبائه قليلاً او كثيراً ، حتى كدنا لا نصدق بوجوده لولا ذرية له صالحة يعرفون باسمائهم وآثارهم ، في كل جيل وقبيل . ولنقل ، حسماً للخلاف ، انه كان فيما وراء التاريخ ، رمزاً ليس غير . أليست الرموز كالعقائد والاساطير ، وكالحقائق والاباطيل ، ذات وجود حق لا يضاهيه وجود ؟ وليس يعيبها أن كانت لا توصف طولاً وعرضاً وعمقاً كسائر الموجودات ، فكم من الاحياء من ليس لوجوده معنى الا دخوله في بعض التعاريف .. والرموز كذلك ولود ، بل لا تكاد تجد فيها عاقراً : الم تر الى العقائد والاساطير والاراء والمعاني ، كيف يتحدر في مدار التاريخ ، بعضها من بعض ، فتتألف اسراً وقبائل وامما ؟

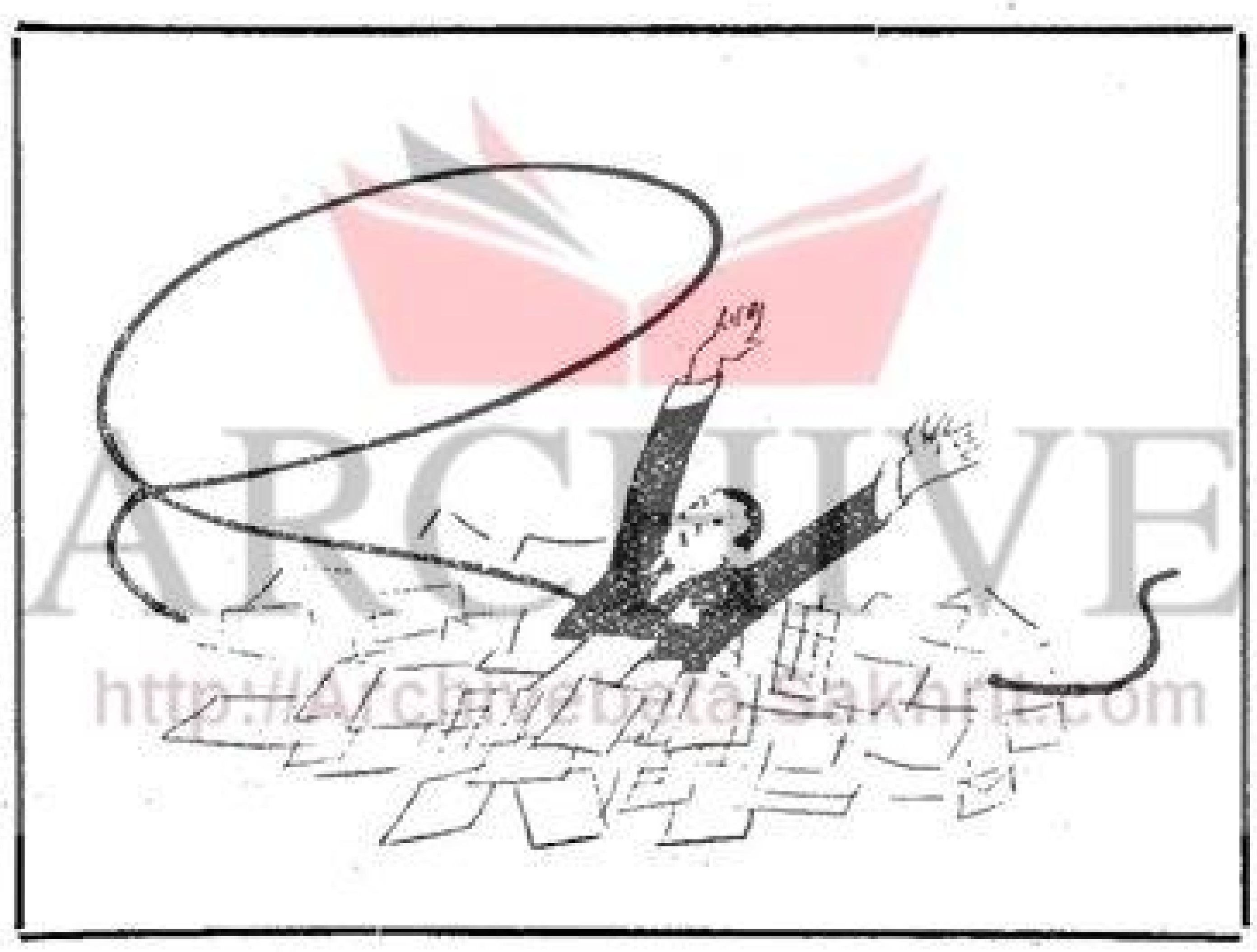


وليؤذن لي ان اقطع سياق الحديث هنيهة كي انوه بهذه الكلمة : « السحاب » . هي هنا في موضعها ، لم تجر على قلمي اعتباطاً ولا اتفاقاً . ففوق السحاب بنى صاحب البرج العاجي برجه . ولو نحن اردنا ان نمثل الوحدة او البعد فحسب ، لكان لنا بالافق اللازوردي — وفيه من الفتنة ما فيه — غنى عن السحاب . كلا ، لقد اسأنا الى التاريخ من قبل ، فلا ينبغي لنا ان نسيء الى الجغرافية الآن ، وان كانا في برامج التعليم كثورين شداً في قرن ، لا يفترقان . ولكن يظهر ان الثورين ضاقا ذرعاً بهذه الصحبة التي قضي عليهما بها من عهد بعيد ، وسئماها ، فلما جاء هذا الوقت الذي نعيش فيه ، فشهدا ما لم يكن يخطر ببال ، من سرعة توالي الاحداث وتبدل المعالم وتنقل الحدود ، انتهزاها فرصة يضن الدهر بمثلها ، فكل ثور يشد الى ناحيته ، او يعمل على شاكلته .

فاذن ، لا بد في جغرافية البرج العاجي من السحاب . ولنسمه دفعة : « الضباب » الذي يذكره جبران ، احد متصوفة الشعراء كثيراً ، لا سيما في رسائله الخاصة ، اذ كان يرسل النفس على سجيتها

وكأن الضباب مصدر وحيه ومادة خلقه . قال في احدى رسائله الى مي : « انا ضباب يا مي . انا ضباب يغمر الاشياء ولكن لا يتحد واياها . انا ضباب لم ينعقد قطراً . انا ضباب وفي الضباب وحدتي ، وفيه انفرادي ووحشتي ، وفيه جوعي وعطشي . ومصيبتي هي ان الضباب ، وهو حقيقتي ، يتشوق الى لقاء ضباب آخر في الفضاء ، ويتشوق الى استماع قائل يقول : لست وحدك . نحن اثنان . انا اعرف من انت ! . اخبريني يا مي . أفي ربوعكم من يقدر ويريد ان يقول لي : انا ضباب آخر ايها الضباب ، فتعال نخيم على الجبال وفي الاودية ، تعال نسير بين الاشجار وفوقها ، تعال نغمر الصخور المتعالية ، تعال نطوف في تلك الاماكن البعيدة غير المعروفة . » الخ . ذلك ما قاله جبران . فهل رأيتم اكثف من هذا الضباب ؟

ولعزلة الاديب في برجه العاجي علاقة ملحوظة وثيقة بنظرية « الفن للفن » من النظريات المحدثة في اوربة ، تسرب الينا طرف منها ، معما راج عندنا من السلع المتنوعة التي تخلق هي الحاجة اليها اكثر مما تسد حاجة نحسها فعلا . بل ليس ذلك « البرج العاجي » الا رمزاً يمثل الغرب فيه ما تنطوي عليه هذه النظرية من آراء واحكام في الآداب والفنون : الفن للفن وحده ، لا لشيء آخر ، حتى ولا ليفهم .



وفي قصة (استللو) للشاعر الفرد دهفيني وصفة حكيمة يمن بها الدكتور نوار على الشعراء والمفتنين ، زاعماً ان فيها الشفاء التام والعافية الشاملة ، هذه ترجمتها : « قم بالمهمة الملقاة على عاتقك حراً طليقاً ، بمعزل عن العالم اجمع . اتبع ما يقضي به كيانك ، بالاستقلال عن كل المشاركات مهما تكن جميلة ، فالعزلة مصدر الالهام . ان الشعراء وارباب الفنون قد خصوا وحدهم بهذه المنحة العظيمة وهي القدرة على انجاز مهمتهم في معزل عن الناس . » فاذا اضفنا الى هذا العلاج الناجع ، ذلك الرأي الشائع وهو ان العامة بطبعهم اعداء كل جديد ، وكل نبوغ ، وكل سمو ، اجتمع لدينا ما فيه الكفاية لتفسير الموقف الذي يقفه صاحب البرج العاجي ، من فنه ومن الجمهور على السواء .

وقبل ان نتساءل عن هذا الموقف ، أطبيعي هو ام اصطناعي ، وفي حيز الامكان ام ضرب من المستحيل ، وقبل ان نعلم أمن المتيسر تحقيقه ، فاستمراره في المجتمع الذي نعيش فيه ام يعترض ذلك مصاعب لا تغلب ، وقبل بحث النتائج الحسنة او السيئة التي يمكن حصولها فيما لو صار هذا الرأي خطة لا يشذ عنها اديب او مفتن .. قبل ان نتساءل عن ذلك كله ، لا نجد مندوحة عن التذكير بان اشد الادباء والمفتنين تشيعاً لمذهب العزلة او لنظرية « الفن للفن » واعلاهم صوتاً في الجهر بها والدعوة اليها ، كالاخوين غونكور مثلا ومن لف لفهما ، كانوا يعلنون على رؤوس الاشهاد ، انهم لا ينظمون ولا ينثرون ولا يصورون ولا يلحنون من اجل هذا الجمهور المسكين الذي كتب عليه ان يعايشهم ويعاصرهم ، دون ان يقدر له ان يفهمهم او يعجب بروائعهم ، ثم لا يلبثون حتى يعلقوا الآمال العريضة على الاجيال الآتية . فهم اذن يستبدلون جمهوراً بجمهور ، او قراء سيأتون بقراء ذاهبين ، وكأنها حوالة يسحبونها على المستقبل . واذن ، لا غنى للفرد ، مهما تفرد ، عن المجتمع باية حال ، او بعبارة ابسط : لا غنى لكاتب عن قارىء ، ولا للضباب الذي سمي في دنيانا هذه جبراناً عن ضباب آخر يضرب له موعداً في مجاهل الفضاء .

— ٣ —

لم يشهد عصر من العصور كهذا الصدام . ستقولون ان الامم في مشارق الارض ومغاربها ، وفي منعطفات التاريخ القديم والحديث ، قد زعمت ايضاً كهذا الزعم ، فكأن كل زمن مفتون بنفسه ، محمول على الغلو في تقدير ما يتصل به وينسب اليه ، حتى وان لم يكن فيه ما يدعو الى التزيد والتمدح .. ان الحرب مصيبة وبلاء ، هذا ما لا شك فيه ، وليس فيها ما يبعث على الفخر او التحدث بالنعمة . لكن الانسان مفطور ايضاً على الاطناب في وصف ما ينزل به من النوازل ، كي يكون صبره اعظم ، والثواب على قدر المشقة .

هذا حق لا مراء فيه . فنحن المخضرمين الذين قدر لهم ان يشهدوا الحربين ، قد سمعنا مثل هذا الكلام ، خلال الحرب الكبرى التي سميت منذ عشرين عاماً ونيف « الاخيرة » . سميت الاخيرة خطأً في الحساب على ما يظهر ، او من قبيل التمني ، او على سبيل الزجر والتفاؤل حذر الاصابة بالعين ، بل ربما لهذه الاسباب جميعاً على السواء ، ولاسباب اخرى ابلغ اثراً ، لعل اجدرها بالذكر تسلية الخلق عما كانوا فيه من البلاء ، وتشجيعهم على المضي في القتل والاستقتال الى النهاية . فاذا كان الناس يزعمون كل مرة ان هذه الحرب ، لا حرب قبلها ولا حرب بعدها ،

فكل حرب وانتم بخير !

والواقع ان العالم لم يشهد صداماً كهذا الصدام في شدتـه وعظمتـه ، وهو يوماً بعـد يوم ، يتعاظم ويزداد شدة ، حتى كأن الحرب الكبرى الماضية لم تكن سوى صورة مصغرة عنه ، كعنوان الكتاب ليس يدل ، خلافـاً للمثل المشهور ، الا على طرف منه يسير ، كما انه في اكثر الاحيان قد لا يدل على شيء مطلقاً . ينبغي ان يكون الكتاب اقل من لا شيء كي يعرف من عنوانه ، او حينما يكون عنوانه مغنياً عن قراءته .

ذلك ان الصدام الذي نشهده او نرى آثاره ليس قتالاً تدور رحاه بين جيش وجيش ، بينما اغلبية الامتين المتحـاربتين في معزل ، لا تكاد تعلم ان ثمة في ميادين قريبة او بعيدة ، آلافاً من الخلق يتفانون ، وبينما سائر الامم المتحايدة متحايدة بالفعـل ، قلباً وقالباً ، مادة وروحاً .

فأولا : لم يعد من امم متحايـدة بالمعنى الصحيح . ان هذه الحرب الشاملة قـد طغت على كل شيء ، حتى امسى المتحايدون فيها اشد حذراً واهتمامـاً ، واكثر دخولا في الحرب او مساهمة فيهـا من بعض المتحاربين . ثم ان هذه الحرب قد ملكت على الناس في اقطار العالم جميعاً ، اهواءهم ومشاعرهم وافكارهم ، وداخلت النيات ، واندست في الضمائر ، فليس لاحد من خلق الله وفيه مسكة من عقل ، ان يزعم انه في معزل عنهـا ، او في مأمن من غوائلها .

وانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع !

هذا اولا . وثانياً : ان الحرب التي نشهدهـا هي حرب كلية او جماعية كما يدعونها ، وهم يعنون بذلك حرباً شاملة مطلقة يتضافر فيها لاحراز النصر النهائي ، افراد الامة جميعاً ، شبابـاً وشيوخاً ، ذكوراً واناثاً ، سواء في الجبهة ام وراء الجبهـة ، في ميادين العمل كما في ميادين القتال ، بكل ما اوتوا من قوى وعزائم ، وامكـانات وموارد ، لا يتخلف من الافراد فرد ، ولا يوفر من الاشياء شيء . نقول في ميادين العمل كما في ميادين القتـال .

ولقد اصبح في حكم الثابت المقرر ان الـكلمـة الاخيرة في هذه الحرب الضروس ستكون للذين يجدون ويعملون ليل نهار ، ويثبتون ويصمدون فيما وراء الجبهة ، او على الاقل ان نصيب هؤلاء من النصر والغلبة ، ليس دون نصيب اولئك الجنود الذين يقذف بهم في حومة المعارك ، فيلقاً بعد فيلق .

هذا ثانياً . وثالثاً : ليس هذا الصدام المشهود حرباً مقصورة على القوى المادية بمختلف انواعها ، تتلاحم وتتطاحن في البر والجو والبحر . ليست حرب اساطيل وطائرات ودبابات فحسب . بل هي ايضاً ، وبالدرجة الاولى ، حرب معنوية فكرية : حرب بين مذهب ومذهب ، بين عقيدة وعقيدة ، يتوقف على نتيجتهـا الحاسمة مصير العالم اجيالا متطاولة : ترى ، هل يستمر العـالم على مسيره المضطرد ، نحو اكثر ما يمكن من الخير والعدل والحق والحرية ، للافراد والجماعـات ، ام تقف اليوم في سبيله ، كي تعوقـه عن السير ، او ترجعه الى وراء ، قوة غاشمة ، عاتيـة آثمة ، قوة شعب جبار يعصف برأسه ، حيناً بعد حين ، جنون العظمة بل التعاظم ، وحمى الاثرة بل الفتك ، فـاذا الغبراء ومن عليها مدججة بالحديد ، مضرجة بالدم ؟



هذا هو الزمن الذي كتب لنـا ان نعيش فيه . هذا هو بهمومه الملحة واخطاره المباشرة ، بآلامه الموجعة وآماله المغرية . . ولسنا نخشى لومة لائم ، او تهمة متهم بالشطط او المبالغة ، اذا ما قلنا انه لا متحايد اليوم . لا متحايد ، حتى ولا الاديب صاحب البرج العاجي ، في عزلته فوق السحاب ، او وسط الضباب ، حيث يقضي عمره منهمكاً في تأنيق المباني ، وترويق المعاني . لقد آن ان يهبط الى الساحة ، بين بني آدم المعذبين ، ليشاركهم الآلام والآمال ، والهموم والمخاطر ، والافراح والاتراح . ولعل كل هذا يساوي عنده تلك القافية الشرود التي لا يفتأ يعدو خلفها ، كما يتصيد الاولاد فراشات الربيع .

عمر فاخوري



اللوحة الحساسة

بقلم منير النصولي

اما سمعتم طفلاً صغيراً ينتحب، فتأثرتم لتأثره وحاولتم تهدئة اعصابه، فذهبت جهودكم عبثاً؟ هلا بحثتم عن السبب؟ ازاء حالة كهذه، اما انكم تعزون ذلك الى عناد، فتضغطون على الصغير ظناً منكم ان الله جعل في قوة البالغ سلطاناً يسيطر على ضعف الطفل، واما انكم تدعون الطبيب. فهناك شذوذ يتولد، وجيل يشقى، وكل ذلك دلالة على جهل يطغى.

هاكم قصة طفلة لم تتجاوز بعد الشهر السادس من عمرها:

بينا كانت ذات يوم في سريرها، هادئة ناعمة البال، دخلت عليها زائرة فوضعت مظلتها على منضدة في وسط الغرفة، فأخذت الطفلة تبكي بكاء مراً وتتخبط في سريرها، الامر الذي حيّر الزائرة والأم المسكينة. انما لاحظت زائرتنا ان نظر الطفلة متجه نحو المظلة، فسارعت لتقدمها اليها مع ابتسامة مصطنعة اعتدنا ان نجود بها على اطفالنا، ولكن ذلك لم يجد نفعاً، بل بالعكس لقد ازدادت الطفلة بكاء. فتيقظت الام بغتة، وهي تلمّ بمعلومات نفسية، الى ان الامر لربما كان سببه تغييراً غير منتظر في عالم صغيرتنا، فبادرت حالا الى اخفاء المظلة في غرفة ثانية، واذا بالطفلة تهدأ وتعود الى سيرتها الاولى.

الى م نعزو ذلك؟ ألى خوف من هذا الشيء الجديد الذي تجهله صغيرتنا ام الى خلق غريب في عدم قبولها عنصراً دخيلا على عالمها؟

لقد أعربت عن ذلك (ماريامونتسوري) في شرح ضاف وألحقت تلك الحادثة ببراهينها التي تثبت وجود اطوار حساسة عند الصغير.

فالطفل يمر على زعمها في طور نظام وترتيب مابين اشهره الاولى والسنة الثانية. وهكذا كالفنان اذا مارسم لوحة اراد الاحتفاظ بخطوطها فهو مبتدعها ولا يرضى عنها بديلا. فالاشياء في نظره تسارعت لاخذ مكانها، وقد عرفها محتلة مراكزها، فاذا ما رآها في غير موضعها بادر الى ارجاعها اليه كي لا يحدث ذلك تشويشاً في تلك الصورة التي انطبعت عنده.

ولكنني اعتقد شخصياً ان المظلة شيء جديد غريب دخل بغتة على مجموعة الاشياء المحفوظة في لوحة صغيرتنا، فادخل الرعب عليها، فحدث ما حدث، كما ان الطفل يجهش بالبكاء عند سماعه بغتة القهقهة، من غير ان يتمكن من فهم الامر حسب ادراكه.

وكل هذا مما يثبت طور حساسية الترتيب داخلياً وخارجياً.

وقد ذكرت مدام مونتسوري مؤكدة ان الطفلة اذا مارأت صابونة على «المغسلة» خارج موضعها لاحظت ذلك واعادتها الى مكانها.

وتزيد مونتسوري على ذلك، ان الاطفال في المدارس المونتسورية، يحافظون على هذه الدقة في ترتيب عالمهم، حتى ولو تخطوا السن المحددة لهذا الطور. ويسرني، ان أذكر بهذه المناسبة، مشاهدة شخصية لاحظتها بعيني، حينما زرت مدرسة مونتسورية «Ecole de la jonchère» في ضاحية من ضواحي باريس: طفلة كانت في الرابعة من عمرها تغسل يديها فتأخذ الصابونة من موضعها وتعيدها الى مكان آخر، وبذلك تعاكس ماقالت مدام مونتسوري.

ولكنني فكرت انه لربما كان عالم طفلتنا، في طور حساسية الترتيب، مخالفاً للنظام المألوف. وهي رغم تدريب المربيات كما اخبرتني المديرة، ما زالت محافظة على لوحتها الاولى.

على كل، فمن المؤكد اننا نحمل عدة لوحات لالتقاط الصور، تبدأ حساسية كل منها في وقت معين، واذا ما مر ذلك الظرف تفوت الفرصة وتخف فاعليتها.

لقد لاحظت Mlle. Descœeres وغيرها من علماء نفسية الطفل ان الصغير يمر في دور يزداد اهتمامه بشكل الاشياء، في الوانها كما اثبتت التجارب. فحكم Toby ان طور الاشكال يبدأ في الثانية، وينتهي في الثالثة من سني طفلنا، وبعده يحل طور الالوان محله، فيشغل طفلنا الى السنة الخامسة، وبعدها يرجع صغيرنا الى الاشكال، انما بصورة نفسية جديدة. ان اهتمام الطفل اولا بشكل الاشياء يدل على حاجته الملحة الى الاحتكاك بالعالم الخارجي. نحن في تبدل مستمر.

ان اظرف قصة يمكن ان نستشهد بها هي قصة دارون:

لقد تأثر صاحبنا كثيراً لعدم استفادته من طور يذكر انه مر فيه، فشعر في حينه بذوق وميول موسيقية عظيمة، وهو يحكم بأن ذلك نال من شخصيته وحظه في السعادة.

نحن في قطار يسير فيقف في محطات تحوي اشياء مختلفة نافعة. فاذا ما مررنا ولم نستفد من الوقت المحدد اضعنا علينا، فلا يبقى منها الا الذكرى. ان صغارنا يعلنون عن وصولهم الى تلك المحطات، فعلينا ان لا نقف حاجزاً في وجههم. ولكن من اين لنا معرفة ذلك ان لم ندرك نفسيتهم، فهي لهم عالماً يتلاءم ونموهم الطبيعي؟

دار المعلمين الرسمية

منير النصولي

الممثل تالما في «مدرسة الشيوخ»

◆

مرض في الادباء «المجددين» ان يسخروا من متقدميهم، فالجيل الحاضر لا يحترم الجيل الماضي ويخلق لنفسه شتى الذرائع لدعم حجته. وكما ان ادباءنا الناشئين يبتسمون ابتسامة الهزء كلما ذكر اليازجي ناصيف او نجيب الحداد مثلاً، هكذا الادباء الناشئون الفرنسيون في الثلث الثالث من القرن الفائت فقد كانوا يبتسمون كلما ذكر «كازيميرده لافيني» او «بيرانجه» او «لامرتين» او «سكريب». وكانت عبارة خبيثة يرميها ناقد خبيث تكفي ليعتنقها الناشئون على انها حجة الحجج والحكم الحاسم الذي لامردّ له. فقول «دينوايه» الناقد: «ان من الاموات من يجب قتلهم» عاش مع جيل الناقد حجة له حتى شبّ هذا الجيل عن الطوق وعقل.

ومن اولئك «الاموات» الذين اوصى «دينوايه» بقتلهم الشاعر «كازيميرده لافيني» الذي عرف في قصائده الوطنية Les Messeniennes ان يعزي فرنسا بعد نكبتها بالامبراطورية الاولى، والذي ساهم في نهضة الوطن وجمع كلمة الفرنسيين. والغريب ان بضعة من الناشئين انطلقوا في التحيف من شعر «كازيميرده لافيني» عقب النكبة الثانية التي حلت بفرنسا وكلفتها الالزاس واللورين. ولكننا على أكبر من اليقين ان الناشئة الفرنسية في هذا العصر اعرف بتاريخها الادبي ممن تقدمها فلا ترسل الرأي على عواهنه ولا تنطلق في السخرية السهلة، شأن المبتدئين الذين يتكلفون المعرفة ولا يجدون كرامتهم الا في تحقير الاخرين.

كان «كازيميرده لافيني» قمة الشعراء في عصره، وكان ما يزال في مطلع العقد الثالث من عمره عندما رفضت «الكوميدي فرانسيز» اخراج احدى مسرحياته، فغضب لكرامته وآلى على نفسه ان يمنع (مآسيه) عن المسرح. وما عتم الامر ان وضع مسرحية جديدة باسم «مدرسة الشيوخ» واتصل خبرها بلجنة القراءة في «الكوميدي فرانسيز» فطلبتها من الشاعر معتذرة اليه عما بدر منها في الماضي. سوى ان الشاعر رفض تقديم مسرحيته الا اذا قرئت على الممثلين رأساً من غير ان تنال موافقة اللجنة. وبعد اخذ ورد اضطرت اللجنة الى الاذعان لمشيئة الشاعر.



الممثل تالما في دور «دانفيل»

وكان الممثل العظيم «تالما» حاضراً القراءة فرأى نفسه في دور «دانفيل» وما كاد الشاعر يفرغ من قراءة مسرحيته حتى اهوى عليه الممثل فاخذ كلتا يديه صارخاً: «دانفيل. هذا هو انا بعيني. فلا يحق لاحد غيري ان يخرجه. واني لاطلبه من الشاعر ومن زملائي.»

وكان «ده لافيني» قد وعد به الممثل «باتيست الاب» فحار في امره. وفي تلك الآونة حصل هياج كبير في القاعة فقدم الممثل «داماس» المعهود اليه بالادوار الاولى استقالته، وتفاقم امر الاحتجاجات حتى لم يجد «تالما» بداً من التهديد بالاستقالة. وفي نهاية الامر لم يكن بد من الاذعان فاخذ تالما دور (دانفيل) والمدموازيل مارس دور (هورتانس) واحرزت المسرحية فوزاً عظيماً على مضض من اعضاء لجنة الكوميدي فرانسيز.

ويلخص موضوع هذه المسرحية في ان «دانفيل» الارمل المثري المذرف على الستين، وقع في هوى (هورتانس) سنكلر

وله من زوجته الاولى ولد، وتزوجها . وكانت هورتانس ابنة مستقيمة، على انها اخذت عن امها المؤسفة خصلة الاغترار بالوظائف العالية . فطلبت لزوجها من وزير المالية وظيفة عالية جداً في الوزارة وما عتم الامر ان اخذ مسلك الزوجة (الوصولية) الشابة يثير غيرة الزوج . وكان (لدانفيل) صديق قديم اعزب يكره الزواج، فجاء الى باريس وزار صديقه متظاهراً بجهله امر زواجه، وطلب منه ان يقرضه عشرين الف فرنك لينقذ بها من الافلاس شاباً كتم اسمه عنه .. ولم يكن في الواقع سوى ابنه من زوجته الاولى .. فقبل (دانفيل) ان يقرضه المبلغ ولكنه اعتذر في الآونة الحاضرة بداعي النفقات الفاحشة التي تبذلها (هورتانس) .



كازيمير ده لافيني

وما عتم الامر ان حل الزوجان ضيفين على (الدوق ديلمار) في قصره الواسع الارجاء . وراح الدوق يغازل (هورتانس) ظاناً انها ابنة ضيفه القروي لا زوجته . وكان (دانفيل) قد حرم على زوجته الذهاب الى المراقص. وفي احد الايام لم تجد (هورتانس) على الحاح امها والدوق، بداً من مرافقتهما الى حفلة راقصة . وكأن وخز الضمير ادركها في ابان الحفلة فغادرتها فجأة الى البيت . وبعد هنيهة لحقها الدوق ليعاتبها . وفي هذه الاثناء وصل (دانفيل) فخبأت الزوجة الدوق في احدى الغرف. وكأن قلق الزوجة أثار كوامن الزوج فصرف امرأته بهدوء ودخل الغرفة وطلب الدوق الى البراز . ومن غير ان تشعر (هورتانس) بشيء خرج الخصمان بدون شهود وتبارزا فانتصر الدوق وعاد دانفيل الى البيت .

وفي الصباح انطلق الزوج في توبيخ زوجته البريئة . ولكنه وجد في يدها رسالة موجهة الى الدوق تأمره فيها بان يكف عن مناوراته والا طردته . وهكذا آمن (دانفيل) باستقامة امرأته وعادا الى قريتهما مطمئنين .

هذا موضوع (مدرسة الشيوخ) التي احرزت نجاحاً كبيراً وضاعفت شهرة (تالما) . وقد قال (ارنست ليكوفه)، بعد مرور ستين سنة، انه ما يزال الى الان يسمع هذه العبارة : (اني اتألم) خارجة من فم (تالما) .

وكان (تالما) يقول : (اعتقد ان العباقرة يحتفظون دائماً بشيء من الطفولة، فالعبقرية تصدر عن الروح والروح لا تشيخ. واذكر ان احد الطليان قال لي يوماً انه كلما نظر الى الملائكة التي رسمتها ريشة (رافائيل) خيل اليه انه يرى روحنا عالقة في السماء باجنحتها الصغيرة وفي الارض بوجه طفل.)

صرف (تالما) شطراً من شبابه في لندن وكان والده طبيب اسنان فيها، واذ سئل يوماً عن مدى تأثير الممثلين الانكليز في نفسه اجاب : (لم اتأثر بسوى زعماء حزب (الجيروندان) . في مساء يوم حضرت احدى جلسات هذا الحزب وسمعت خطباءه، سمعت (ميرابو) و (دانتون) و(فرنيو)، وشهدت وجوههم الكالحة ... وفي تلك الساعة خيل الي اني احضر احدى جلسات مجلس الشيوخ الروماني .

وكان تالما يقول للمحامين في زمنه: (تعالوا اسمعونا في الكوميدي فرانسيز اذا شئتم ان تلتذوا وتستفيدوا وان تتعلموا كيف يجب على المحامي ان يكون .)

وكان يقول ايضاً : (قد لا يكون ما يسميه بعض الناس (موهبتي) سوى السهولة التي تمكنني من الشعور باحاسيس ليست احاسيسي بل ابتناها بالخيال فبوسعي ان احيا ساعات حياة الاخرين، واذا لم يقدر لي ان ابعث الاشخاص باغلفتهم الترابية فيقدر لي على الاقل ان احيي عواطفهم وما كانوا يحسونه . وكثيراً ما استعين بالمشاهير من الرجال والمثقفين منهم فاستثير ذكريات رفاقي الذين عرفوا امجاد (المسرح الفرنسي) القديم .

وكان تالما صديق نابوليون الاول فقد رافق حداثته في ظل الثورة الكبرى وظل وفياً له الى آخر ايامه . وكثيراً ما كان نابوليون عقب عودته من معركة ظافرة، يخف الى المسرح ليشهد صديقه ويصفق له

ولم تسقط رعاية تالما في عيني لويس الثامن عشر، بل كان هذا الاخير يحب تالما كما احبه نابوليون حتى انه لم يتمالك يوماً من ان يقول له : (لم يسبق لي ان شهدت ممثلا اكمل منك .)

الاقليمية والعالمية

في الادب

●



تحدثت في الجزء الماضي عن نزعة التحليق . وقلت فيما قلت انها نزعة باطلة لا تستند الى اساس . وانها على ذلك ، تكوّن خطراً على ادبنا الناشىء . وليس ادل على هذا الخطر من الاتجاه المنحرف الذي يتجهه الادب عندنا ، ومن الحيرة التي يتأرجح فيها بين ما يسمونـه الاقليمية وما يسمونه العالمية .

ولقد انتهيت يومئذ الى ان الادب لا يمكنه ان يتخذ شكلا غير شكل الكرة وان علينا عندئذ ان نقول بوجود جاذبية ادبية من شأنها ان تجذب الذي من طبيعته الانجذاب اليها ، وان المرحلة التي يريدها دعاة التحليق ان تبدأ من سطح الارض وتنتهي — او لاتنتهي — في مجاهل الفضاء ، انما هي على عكس ذلك تبدأ من سطح الكرة وتنتهي في مغناطيس الجاذبية حيث تلاقت وتتلاقى ابداً اقلام العباقرة من كتاب الانسانية .

ولقد وجدتني بعد ذلك على باب موضوع جديد كان في نيتي ان اطرقه لولا ضيق المجال . وكان جد منطقي ان اصل الى النزعة العالمية في الادب بعد نزعة التحليق ، فالاثنتان متصلتان تكمل احداهما الاخرى . ودعاة الادب العالمي في لبنان هم انفسهم الذين يصنعون الاجنحة التي بلا ريش ويهيمون بالفلك ليكتبوا على بطاح السحب « ادباً عالمياً » . فمن حق لبنان ان يشكرهم شكراً جزيلا على الجهود التي يبذلونها فوق ما تبذله لجنة السياحة والاصطياف في سبيل تعريفه الى العالم !

لو انك سألت مرة احد هؤلاء عما يقصد ، بالضبط ، بالادب العالمي ، لما كان جوابه غير العبارة التي طالما سمعنـاها : التحرر مـن قيود الاقليمية .

ولو انك رحت تستقصي ما خبئ وراء هذه العبارة من معنى ومقصد لظفرت منه بشيء كثير ، جله او كله خارج عن معنى الادب ومقصده . فما اشهى على قلب الاديب « العالمي » في لبنان ان تترجم طرفته الرائعة الى اكبر عدد ممكن من اللغات الاعجمية كمـا ترجم الخيام وطاغور — مع حفظ النسبة . وما أحب الى قلبه ان يكون له قراء كثر يقرؤنه في غير لبنان . ومن اجل ذلك تراه يحرص على ان يتجاهل الزمان والمكان ما استطـاع ، فتكون آثاره صالحة ، على زعمه ، لان تقرأ وتستساغ في اية بقعة من الارض وفي اي عصر من العصور . وهذا في اعتقاده معناه الخلود .

اما ان يحلم بترجمة كتبه الى لغات اعجمية فامر نتجاوزه عن طيبة خاطر . فكلنا يتمنى بل يشتهي ذلك . ولست اعرف اديباً يشيح بوجهه معرضاً عن شهرة عالمية ذائعة الا ان يكون ممن يصطنعون التواضع .

ولقد نتجاوز كذلك ، عن طيبة خاطر ، ضيقه بالبقعة التي يعيش فيها وسعيه وراء قراء اكثر عدداً . فمن حق الاديب ان يكون غنياً ، وغير جدير به ان يهمل الناحية التجارية من الادب . فالمال ضروري له يكيف به حياته اليومية على ما يستحب ، ويهيء له الانصراف الى حرفته انصرافاً مجدياً . اما ان يتجاهل الزمان والمكان في سبيل خلود موهوم ، فأمر لا نقره عليه ، وليس في امكان الضمير الادبي تجاوزه .

يقولون لك ان في الطبيعة الانسانية عواطف واحاسيس وافكاراً وطبائع واحوالا راسخة مشتركة تنبت في كل الاقاليم ، وتشيع في كل الاعصر كالحب والبغض والخوف والطمأنينة واللذه والالم والشقاء والسعادة والحقد والتسامح والفقر والغنى والحق والباطل والصحيـح والفاسد ، والى غير ذلك . ويقولون لك ان الاديب العالمي انما يبحث هذه الامور الراسخة المشتركة ، معرضاً عن الخصائص الاقليمية والظروف الطارئة ، وان تلك الامور اوتاد الخلود الادبي .

قول يبدو معقولا لاول وهلة ، لا غبار عليه . قد يقبله كثير من الادباء ، وقد ينخدع به كثير من الناس . على ان الحقيقـة غير ذلك ، فالخصائص الاقليمية والظروف الطارئة ، هي في العمل الادبي كل شيء . وما العواطف والاحاسيس والافكار والطبائع والاحوال الراسخة المشتركة الا « مواد خام » اذا جاز لنا هذا التعبير الصناعي . اجـل ، مواد خام مبذولة للجميع ، لا تأخذ قيمتها الا تحت طابـع

الخصائص الاقليمية والظروف الطارئة .

فما قيمة الحب ، لعمري ، في مسرحية شكسبير الخالدة « روميو وجوليت » لو لم يطبعه اقليم البحر المتوسط بالعاطفية الحادة الجامحة ، ولو لم تكسبه الظروف الطارئة ذاك العنف الذي كانت عليه عداوة بيت « المونتيغو » وبيت « الكابولات » ؟

بل ما قيمة الحب في اسطورة « قيس وليلى » ، الخالدة كذلك ، لو لم تسبغ عليه الصحراء من رمضائها لهباً ، ومن ابعادها النائية يأساً ، ومن جفافها حرماناً ، ومن سرابها املا بلا رجاء ، ولو لم تكسبه تقاليد الحياة العربية الصارمة العازمة ، صرامة وعزماً ؟

بل ان لدينا من روائع الادب العالمي في القرنين الماضي والحاضر ، لشواهد على ذلك كثيرة . فاذا قرأت دستويفسكي فانك واجد فيه ، اول ما تجد ، الروسي الاقليمي الصميم ، بل روسيا نفسها بثلوجها وابعادها وضبابها ودهمائها وما كان يختلج في قرارات نفوسهم من حنين ويأس وحرمان وسويداء والم صامت ونوازع نفسية غامضة معقدة .

تجد كل ذلك في دستويفسكي الذي يصبح بعد مماته مرجعاً لعلماء النفس يدرسون في ابطاله عوارض الامراض النفسية ، ويمسي في نظر النقاد اديباً عالمياً بلغ من مجاهل النفس الانسانية ما لم يبلغه اديب غيره .

وتقرأ « توماس مان » الاديب العالمي المعروف في قصة « تونيو كروجر » مثلا ، فاذا القصة كلها قصة امزجة واقاليم . فحيرة تستبد بتونيو كروجر ، تجرفه تارة نحو طبيعة امه اللاتينية الحارة العواطف والجسد ، فيحب حباً عنيفاً خطراً مزدوج الغاية ، فاشلاً . ثم تجرفه تارة اخرى نحو طبيعة ابيه الجرماني ، فيستيقظ في خلاياه الحنين الى الشمال ومتعة الاحساس بالبرد ، البرد الذي يوصد على النفس دون الحياة اليومية المألوفة ، ويحول دون الجسد والحركة المسرفة ، فاذا تونيو يهجر حياته الاولى ليعيش في صقيع الدانمرك ويمسي اديباً : اجل، اديباً خالقاً . تلك هي القصة كما تراها ، اقليمية بحتة . وهي كما تعلم ، جزء من العمل الادبي القيم الذي استحق عليه توماس مان جائزة نوبل وتقدير العالم .

كنت اود ، لولا ضيق المجال ، ان اورد من الشواهد اكثر مما فعلت ، كأن اتحدث قليلاً عن « سنكلر لويس » الاميركي و « بلاسكو ايبانيز » الاسباني و « بلزاك » و « ايفان تورجنيف » وغير هؤلاء ممن اتيح لي ان اقرأهم وارى في آثارهم كيف يمكن للاديب ان يكون اقليمياً وانسانياً في آن واحد . بل اني وجدت ان الاديب الجدير بهذا الاسم لا يمكن الا ان يكون كذلك . فهو جزء من الانسانية شاء او ابى ، وهو جزء من الاقليم الذي يعيش فيه رضي او سخط . ولا بد ان يجمع العنصرين معاً . اما كيف يتاح ذلك ، فلست ارى اليه سبيلا ، الا ان يظل الاديب اميناً على شخصيته ، مخلصاً لها .

ولعل هذه الامانة وذاك الاخلاص هما ما يفتقر اليه الاديب اللبناني على الاجمال ، فهو في معظم ما يكتب من نثر وشعر ، لا يستوحي بيئته وطبيعة اقليمه والحياة التي من حوله الا قليلا . واحسب لو ان مؤرخاً جاء بعد زمن ، يؤرخ الحياة اللبنانية في هذه الوهلة ، على ضوء ما يكتب الادباء اللبنانيون اليوم ، لما ظفر من هذه الحياة بشيء كثير . ذلك ان معظم الانتاج الادبي الحاضر مستوحى من الكتب التي تأتينا من الغرب . فأكثر القصص عندنا تقليد لموباسان وفلوبير وبلزاك وتورغانيف ودوستويفسكي وغوركي ، واكثر الشعر عندنا تقليد لفاليري وبودلير وفرلين وسامان ومقلديهم .

اذكر اني كنت اقرأ مرة مقدمة الترجمة الفرنسية لقصة « بابيت » التي كتبها الاديب الاميركي سنكلير لويس . فاذا صاحب المقدمة ، وهو احد كبار الكتاب في فرنسا ، يمتدح زميله الاميركي بقوله انه لم يكن قط من « الهاربين » .

والمقصود « بالهاربين » جماعة من الكتاب الاميركيين يعيشون في كل اقليم وفي كل بيئة ، الا الاقليم الاميركي والبيئة الاميركية ، وهم يبحثون كل شيء الا الذي يهم الرجل الاميركي . فبينما هم في احدى جزر المحيط الهادي ، يحيكون قصة غرام بين ابيض وسمراء ، اذا هم في بؤرة من بؤر شنغاي ، او قصر من قصور الهند ، او مضرب في اقصى الشرق لاحدى قبائل التيبت ، او على متن سفينة دولية تذرع بهم البحار ، لا يتركونها الا الى اعماق اليم او ظلمات اليابسة .

قرأت كلمة « الهاربين » ولست ادري لم ذكرت يومذاك ادباء لبنان . ولعل الحديث قد طال اليوم اكثر مما يحق لي ان افعل ، فلنرجىء هذا الى بعد .

« سعيد »

هواء نقي ونبات بري منفرط
كعقد من الزمرد انقطع خيطه . . .
ولا غاب يزين هذه الجبال الزاهية .
فالطاقة مغرية كيد بدون خاتم .
وقال المترهد ايضا :
بما انك تدرك معنى الصور المغتسلة في اشعة النعاس الحية فاسمع :
كنت اسبح معها في المدى الفضي
راسماً محدبات كمحدبات الاوقيانوس
حتى اهتديت الى البيت المائلي
في الجزيرة ذات الحدائق الاهلة بالشواعل .
وفي طرف كل رواق من الشجر
كانت تقوم خلائق حبيبة
كأنها رسوم محاها الزمن
فهي – ليست كما كانت تماماً ولا غيرها تماماً .
وكان جسدي محتفظاً بعادته المدنية . اما وقد اضاع كل وقاره فلم يكن يحلم بسوى لمسات نقية
وكان البيت يدور بهدوء على نفسه في سكون اسود تخنقه الريح .
لم يكن هذا السكون لا الايقاع البعيد للاوراق المتساقطة
ولا صوت شبابة اتياً من الصحراء .
بل كان سكوناً يريد الافصاح عما في نفسه ، فالكلام العذب يحطم الغضب دائماً .
كان ثمة اجفان ونظرات مبللة تعيد الى الذاكرة شفاها معذبة .
فعبرتُ عندئذ جدران البيت مكتفياً بلون السماء .
وكان الماء كثيفاً كماء البحر ، فانسللت في الهواء
باحثا عن الحوض الموحش
الذي احب الاغتسال فيه . . .
فلم اجد في قعر الماء الا غيوماً في سمائها المشرقة .
وكان غراب جاثماً على غصن .
ورخام الحوض في لون وردي متباعد
الى حد لم يبق من وردي مثله
الا في باطن الايدي
وعلى اصداغ العذارى المصريات .
واذ مر في الماء غيوم اخرى مع هلال محدب كالسيف خرج صوت رزين من الشجرة الموحشة ،
ولكن الشجرة الموحشة كانت صديقتي .
فمن لم ير الليل على ادم « سلومة »
لا يعرف نبرة الانسجامات الغسقية الناعمة . فعلى شفتيها الرطبتين كانت تمر موجة اثيرية ،
وعلى جبينها تمر وعلى عينيها الذاهلتين، حاملة اريجاً تذريه ظلا لطيفا . . .
وهذا الظل كان ينشر عرف الزهر ، والاوراق الفضية لب الثمار .
فنشقت طويلاً هذا الظل المشرق العذب الخفي .
ثم مرت امرأة وراء الغيوم . فعرفت جبينها الشبيه بجبيني . وكان جبينها شاحباً كجباه المجوس . ولكن فيم كانت تقطبه وهي لم تخاطر بشيء ؟
فالذى يقترب من الحداد لا يحترق حتماً بناره .
اما الانسجة الحريرية التي مارست صناعتها فكانت تباع هي ايضاً في قعر الحوض مع سرج واقراص نعنع .
اجل في قعر الحوض . تحت الماء الشفاف .
ايتساءل السباح المنهوك القوى الذي يجد خشبة في متناوله من اين جاءت هذه الخشبة وكيف جاءت ؟ يجب ان يعرف من اين تجيء الثمار الملأى عصيرا ، ولماذا تضحك «سلومة»



على كثب مني ؟

اجل . في قعر الحوض تحت الماء الشفاف وجدت لؤلؤتي الوحيدة التي لم تثقب تسبح بمثل ما تتحلى به جنبات المياه من الدلال الكريم . . .

وكالشاطيء الذي خبطته العاصفة كانت طراوتها عذبة وصمتها مجنحا :

كانت سلومة عارية بالقرب مني .

وكانت اعضاؤها الملتفة بغزل من الالوان كأنها تتنفس عن نغم موجع . . .

والمسارج المشتعلة كانت ترعش الليل .

فدخلت جميع الاشياء الى عيني باشباحها المتحركة ، ولم اتبين الاهمسات راقصة واخيلة تنساب

لقد احببت قوامها الذي جملت فيه الاغصان لينها والياسمين عطره . . .

كانت ذراعاها المحبرتان باسورة من الزجاج تغنيان كثريا من البلور تلاطفها الريح . .

وقد احتفظ جسدها بجلال تلك الاشرعة التي يركبها القراصنة . . .

وكانت اوراكها تتموج باختيال على نحو ما تفعل الرمال المتحركة . . .

وهكذا كان الجوع يهدر كالعاصفة على كثب منا . . .

وجموع الصبايا يبكين في السهل الفسيح . . .

جميع الاعضاء مستديرة

وجميع الاصلاب جوفاء . . .

واني لاحزر بدون عناء الالام

التي تنفخ جميع هذه الاجساد الحريرية . . .

وقال المترهد ايضا :

لا ابدي الا السماء التي ستحتجب فيها الغيوم .

لم يبق في قلبي اي وهم

حتى ولا اسم امرأة ،

فالذكرى الوحيدة لوجدي الفريد

هي وردة من الورق لا لون لها ولا روح . . .

ثم قال :

ولكن صورة تلك المرأة ما تزال تتردد على احلامي :

وكأنغام موقعة صامتة ترود حولي مع خفقات الغسق الملونة . . .

وهل استطيع ان لا تعذبني حرارة جسدها التي تنفذ اليه جميع اشكال الحس والمنف شغاراً من النار ؟

فاني من هنا انشق رائحة شعورها التي تهيجني .

أصغ الى الريح . . .

وقال المجنون ايضاً :

هي حزينة كحجر ابيض . . .

عيناها تنمان على الم الاحلام المحطمة . . .

واهدابها الشبيهة بالاجنحة تنبيء ان الشيطان الراقد فيها سينطلق عما قريب . . .

ولكن ماذا يهم ؟ فجحيم حبها افضل ولا ريب من نعيم الله .

فم ترتعش فيه الشهوة . . .

وأنامل تنقر لي العود على قلبي . . .

أصغ الى الريح . . .

فكر في سعادتي . . .

أصغ الى النجوم . . .

واسكت اذا فهمت .



احمد راسم

لماذا يشقى الاديب ؟؟



بقلم « ابو ناصيف »

لانه يريد الايمان بالخير ويرى الواقع لا يؤمن بسوى الشر ، بسوى الالم الذي يعذب العالم كالسرطان يعض الثدي الجميل .

لانه مجموع شقاء البشر .

لان الطبيعة جعلت فيه مميزات تحس ادق ما في الحياة .

لان روحه ترفعه الى حيث لا ترتفع الحقيقة المبتذلة ، ولان جسده يشد به الى اسفل دركات الناس . وأي شقاء عظيم هو هذا الذي يقود الانسان في دائرة تغمرها الوحول والاقـذار فيضطر الى القفز كالبلهوان لينجو بنفسه من هذه الاقـذار وتلك الوحول .

لانه يرى الانانية تبث دعوة مكيافيلي فتنصح بنبذ الرحمة وتجريد السياسة من الخير والاصلاح ، وتتخذ الصوفيات حجة لها ومطايا ، وتنهب اموال الايتام او الضعفاء باسم صوفيتهـا تارة والشعب اخرى ، وتلجأ في الشدة الى الدساتير تفسرها على هواها .

ولانه . . . لانه يرى عبّاد الشر في وجوه واحـدة كأنهم مجبولون من صعيد واحد ، ايديهم ملوثـة بالدم واضراسهم محشوة بالقذر . على محاجرهم صموغ رقدة موصولة اليقظة بالموبقات . يراهم يكشرون عن انياب كأن كلا منها موصول بفغرة افعى ، ويصعدون على سلالم مرصوفة بالجماجم والقلوب .

ويسمع عبّاد الشر يقفون خطباء في الناس ، ثم يلتفت فيرى سلب البائسين في بيوت الغير . وأي ألم أشد على قلب الاديب من ان يسمع الحكمة في منطق المنافقين .

لماذا يشقى الاديب ؟

لانه يريد الايمان بالحب ويرى الكذب يسيل على شفاه المحبين .

لانه يرى النفاق في الدموع ، والرياء على الشفة التي تقول : « أحب ! » .

ولانه . . . لانه يريد ان يؤمن بأن الجمال لم يحتجب وان القلوب لم تيبس .

لانه يرى الشمس ، والزهرة ، والغصن ، والثمرة ، فيؤمن من الشمس بالنور النقي ، ومن الزهرة بالمطر الندي ، ومن الغصن بالنسيم العليـل ، ومن الثمرة بالطعام المحيي . ولانه يريد ان يرى هذه الفضائل في قلوب الناس .

لانه يحاول ان يخلق حياة غير الحياة التي يعيشها ، حياة خيالية ، حياة رؤى واحلام وجمال ، حياة حب ورحمة وغفران . ولكن هذه الحيـاة لا تخلق بسوى عناصر الحياة العادية فيلتفت فيرى الخبث والرياء والبغض والحقد والنميمـة والزلفى والجهل ، وكل ما في الحياة من السحن البشعة الممقوتة .

ان الاديب لأكثر من رجل لانه يشقى اكثر من رجل .

الصناعة والتجارة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

بامارة وتجارة وصناعـة   وزراعة تجد البلاد نجاحـا
اركان عمران فشيد صرحها   وخذ العلوم لنيلها مفتاحا

لا خفاء ان اركان العمران تتوطد عليها صروح الحضـارة وارتقاء البلدان والتبسط في المعاش ، ومن اهمها التجارة والصناعة لانها بعد الزراعة المورد الذي يجني الثراء ويوفر السعـادة والنجاح للسكان .

ولقد ولعت الامم القديمة فيهما فارسلت السفن والقوافل في البحر والبر للاتجار في صناعات البلدان وجلب مـا ينفع السكان منها ، كما فعل الفينيقيون والمصريون والكلدانيون والاشوريون والبابليون والفرس واليونان والعرب ومن جاء بعدهم .

ولقد القيت محاضرات كثيرة في مجمع دمشق العلمي والجمعيات والمدارس في فوائد هذين الركنين مما نشر في المجلات والجرائد وعلى حدة برسائل خاصة مطبوعة ومنها اقتطف هذه المقالة الآن .

(١) التجارة

في شرائع حمورابي المشترع الشرقي الشهير قبل الميلاد بكثير ما يدل على نظام التجارة والصناعة وروابطهما وعقد المعاهدات وانشاء اللجان لرفع منارهما . ولا تزال آثار عناية الامم فيهما تـدل على منزلتها السامية مثل ابنية تدمر وبعلبك وقلعة المضيق (افاميه) ودمشق وحلب وصيدا وصور وبيروت وطرابلس وغيرها فانها كانت مواقف للقوافل البرية التجارية ومرافىء للسفن البحرية التجاريـة تتبادل التجارة والصناعة مع الامم الاخرى حتى راجت اسواقهـا وعمرت حوانيتها وكثرت مخازنها وكان لبلادنا الشرقية النصيب الوافر منها والاشتراك بمنافعها والميل الى اتقان العمل وحب الاسفار وكنى بما كان للفينيقيين وغيرهم من سكان الشواطىء تلك الشهرة الواسعة في التجارة والصناعة ونشرها في الاقطار السحيقة كما حققت ذلك الآثار .



ولقد تبودلت المعاهدات التجارية والصناعية بين الدول القديمة في الشرق والغرب وتبادل السكان بينهما توسعاً في العمران وادراراً للرزق واكتساباً للمال ، واقدمها ما كان في القرن السابع قبـل الميلاد وما زال ذلك يتجدد الى ايامنا .

فأسست الشركات الشرقية عندنا منها شركة الانكليز سنـة ١٥٨١ م التي كان لها قناصل ومعتمدون لادارتها ومراقبتها وذلك في حلب وغيرها ، وكثرت المحلات التجارية لبقية الدول الافرنجية مثل الفرنسيين والايطاليين وغيرهما فكانت شعوب تلـك الدول تقصد بلادنا وتتديّرها ، كما كانت بعض اسرنا الوطنية تقصـد البلاد الافرنجية وتتخذها موطناً .

وعقدت قبل ذلك معاهدات تجارية بين صلاح الدين الايوبي، سلطان العرب ، وسكان « بيزا » في ايطاليا وعندي نسخة منها تـدل على ما كان بينهما من الترابط والتبادل لترويج الاعمال واكتساب الاموال .

ثم كانت معاهدات الدولة العثمانية وملوك الافرنـج ولا سيما الفرنسيين والفلمنكيين (الهولنديين) وغيرهم .

ومن ذلك معاهدات الامير فخر الدين المعني الثاني في اواخر القرن السادس عشر واوائل السابع عشر للميلاد فراجعها في تاريخ المعني المطبوع .

وفي القرن السابع قبل ميلاد المسيح كانت المبادلات التجارية بين الشرق والغرب يتناقلون فيها الاشياء ، فتدر عليهم ارباحاً طائلة، حتى قدر بعضهم ثمن البضائع التي كان يتّجر بها العرب في قوافلهم كل سنة بنحو مائة وسبعين الف ليرة استرلينية من نقودنا الحاضرة، وما كان ينفقه التجار سنوياً على القوافل بنحو ثلاثة واربعين الف ليرة .

وامتدت تجارة العرب في ايامها الاولى الى نواحي الهند والصين وبلاد فارس وما يتصل بهـا براً وبحراً ، متبادلين الحاصلات والمصنوعات ونحوها ، ومقتبسين من الاعمال والعادات والاخلاق ما يدل على امتزاج بعضهم ببعض وانتفاع الفريقين .

فاقيمت المعارض لذلك منذ القديم مثل (سوق عكاظ) في بلاد العرب ، واسواق العراق وغيرها . وهكذا حدث بعد ذلك وانتقل هذا الى الافرنج فاقاموا المعارض الى ان عدنا نحن الى مثل ذلك في الاقطار المصرية والسورية واللبنانية ، ولكن عهدها لم يطل ، فاهمل لقلة عنايتنا باسباب العمران وعوامل الترقي ممـا نحن بامس حاجة اليه في هذا العصر الذي درسنا فيـه شؤون الامم الراقية ووقفنا على مؤلفاتهم العمرانية وشاهدنا بام العين ارتقاءهم في سلم النجاح . واذا راجعنا اخبار العرب او سكان بلادنا الآخرين على اختلاف مناشئهم ومذاهبهم رأيناهم يعتمدون على التجـارة مبرهنين في اشعارهم واقوالهم وامثالهم على شغفهم بهـا وولعهم بالاستثمار منها حتى قال عنترة العبسي :

اقمنا بالذوابل سوق حرب   وصيرنا النفوس لها متاعا
حصاني كان دلال المنايا   فخاض غبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً   يداوي رأس من يشكو الصداعا

وقال ابن الرومي :

رب اطلق يدي في كل شيخ   ذي رياء بسمته وسكونه
تاجر فاجر جموع منوع   يرهق الناس باقتضاء ديونه

وقال فرنسيس المراشي الحلبي العصري :

قلت شعرا وقال غيري شعرا   فكلانا في دارج القول شاعر
واذا كان تاجر الدر يدعى   تاجرا كان تاجر الفحم تاجر

وفي القرآن الشريف ما يدل على ذلك مثل قوله : « يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم » ومن احاديث النبي (ص) قوله :

« ما أملق تاجر صدوق وما أفقر بيت فيه خل » و « أطيب ما يأكل الرجل من كسبه » اي من تجارته . و « التاجر الصدوق مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » . و « تسعة اعشار الرزق في التجارة » . و « ان أطيب الكسب كسب التجار الذين اذا حدثوا لم يكذبوا واذا اؤتمنوا لم يخونوا واذا وعدوا لم يخلفوا واذا اشتروا لم يذموا واذا باعوا لم يمدحوا واذا كان عليهم لم يمطلوا واذا كان لهم لم يعسروا» وهذا افضل مايقال وأصدقه في آداب التجار والتجارة .

وهكذا كانت أقوال الخلفاء والملوك والعظماء في التجارة وآدابها مثل قول الامام عمر بن الخطاب (رضه) : « لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني ، فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة » وقول الامام علي بن ابي طالب (رضه) « تفقه ثم اتجر فان التاجر فاجر الا من أخذ الحق وأعطاه . »

وكثيراً ما كان يطوف في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا . لا تردوا قليـل الربح فتحرموا كثيره » وهكذا أقوال من بعدهم الى يومنا .

وقد ألفت كتب كثيرة في التجارة منها « كتاب الاشارة الى محاسن التجارة » لابن علي الدمشقي قال فيه : « وأصل التجارة في البيع والشراء . ان يشتري من زاهد او مضطر الى اخذ الثمن ويبيع من راغب او محتاج الى الشراء ، لان ذلك من اوكد الاسباب الى مكان الاستصلاح في المشترى وتوفر الربح » .

وكانت التجارة اولا بمبادلة الحاجيات فصكت لها النقود بعد ذلك عند الامم الى يومنا .

وهكذا تفنن ارباب الحل والعقد في التجارة وأنظمتها حتى حفظت فيها حقوق البائعين والمشترين ونظمت المعاملات واشتهرت فعرف كل ما له وما عليه .

ولقد جلا هذه الحقائق علم التجارة وممارستهـا والاحتكاك بكبار التجار وامتثال اوامر الحكومة والعمل بها مما وكل امره الى ارباب الحل والعقد من الموظفين البارعين والعمال الصادقين بتحري التحقيق عن كل دقيقة من الاعمال بعيون النزاهة .

(٢) الصناعة

اما الصناعة فانها ما يشتغل به الانسان ويمارسه حتى ينبغ فيه فيظهر للملأ من آثار اعماله تفننات بديعة وآلات رائعة مفيدة للوطن وسكانه فتكون هذه الصناعات ركناً من اركان التجارة الـتي يبادل بها الناس بعضهم بعضاً منذ القديم فيستفيدون الاموال ولله در الشاعر العربي القائل :

وليس على عبد تقي نقيصة   اذا صحح التقوى وان حاك او حجم

ومن الغريب ان القدماء ألهوا الصناعات معتقدين انها هبطت عليهم من العالم العلوي . فأله المصريون الحراثة وعبدوا العجل ابيس واليونانيون عدوها موهبة من اثينـة او منرفة ربة الحكمة . وبعضهم من غير هؤلاء ألهتهم الحروب والمنازعات عن الصناعات فأهملوها .

فاشتهرت امم كثيرة بالنقش وعمل الزجاج والتعدين والادوات الخزفية والزجاجية والمعدنية الى غير ذلك من جر الاثقال والنسج والتطريز والصياغة وعمل الطنافس ونسج الحرير فضلا عما تفوق به بعضهم في تشييد الابنية العظيمة التي لم تستطع عوادي الدهر ان تمحو آثارها وان كانت قد هدمت بعضها مثل الاهرام في مصر وقصور الاقصر وغيرها وبعلبك وتدمر وجرش ووادي موسى التي لا تزال اطلالها الضخمة تدل على عظمتها كما قال الشاعر :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار

فلما احتك العرب وسكان بلادنا من الامم الاخرى بغيرهم في اسفارهم وتجاراتهم تبادلوا الصناعات فاقتبس كل فريق ما يحتاج اليه منها او ما مالت اليه أذواقه . فاشتهرت بلادنا في صناعاتها لا سيما دمشق وحلب ومدن لبنان القديمة مثل صيدا وصور وبيروت وجبيل وطرابلس وبعض المدن الداخلية ، فانتشرت فيها الصناعات الوطنية فكانت دمشق مقراً لصناعات السيوف والقواطع كالشفار والانصال والسهام والحراب والمدى والقيانة والحدادة والصياغة والمنسوجات المختلفة وآنية النحاس المنقوش والقاشاني والميناء والفسيفساء وتزويق البيوت في الجدران والسقوف وترصيع المعدن والخشب بقطع ملونة بديعة وعمل الزجاج وصناعة النحت والبناء وعمل الالات الفلكية والنقود والورق وآلات الطرب الى غير ذلك مما شاع في انحاء سوريا وفلسطين ولبنان ومصر ودونته الصحف والكتب عندنا وعند الافرنج ولقد انتقلت صناعات كثيرة من بلادنا الى غيرها ففي الحروب الصليبية أخذ الافرنج بعضها الى بلادهم وتفوقوا بها .

وكذلك كانت صناعات بلادهم منتشرة في بلاد الاندلس وما اليها في عهد فتح العرب لها حتى نقل كثير منها الى الانحاء الاوربية .

وكان الفاتحون لبلداننا ينقلون الصناع المشهورين بصناعاتهم الى اوطانهم كما فعل كثير منهم ولا سيما تيمورلنك في اول القرن الخامس عشر للميلاد فانه أخذ الوفاً من الاسر الصناعية الى بلاده فانتشرت الصناعات عندهم وتفوقوا بها واهمل كثير منها عندنا الى ان استعيد بعضها بعد ذلك .

وفي زمن الفينيقيين راجت التجارة والصناعة رواجاً مذكوراً فانهم حملوا كثيراً من حاصلات بلادنا وصناعاتها الى البلاد السحيقة وجلبوا منها ما تحتاج اليه البلاد منها حتى وصلوا الى البرازيل على حد قول أحد المؤرخين الذي اكتشف آثارهم فيها ، فاشتهرت صور وصيداء بعمل الزجاج والمنسوجات الفاخرة لا سيما صبغ الارجوان .

وهكذا كان الرومان واليونان والعرب مشهورين بهذه الاعمال العائدة على البلاد بالاثراء .

وجاء بعدهم كثير من الحكام ولا سيما الامراء المعنيون العرب وأعظمهم الامير فخر الدين الثاني المعني الذي رأى عمران ايطاليا بسفره اليها ومكثه خمس سنوات فيها فجلب منها التجار والصناع وعزز عمران البلاد التي أسند اليه حكمها من سورية ولبنان وما اليها فراجت سوق التجارة وتوفرت حاصلات البلاد وترقت الصناعة ولا سيما في تشييد الابنية والقلاع التي لا تزال آثارها في بيروت وصيداء ودير القمر وبعض انحاء لبنان حتى تدمر . ومن ذلك الجوامع والقصور والابراج ، منها ساحة البرج في بيروت المعروفة اليوم بساحة الشهداء الذين قتلوا في الحرب الماضية فيها فكانت أشبه بحدائق الحيوانات في العواصم الاوربية ووضعت فيها القواعد لرفع التماثيل المشهورة وكان أعظمها برج الكشاف في شرقيها فدرست بعد وفاته وهدمت الابنية التي كانت حول الساحة وعلى شاطيء البحر مما ظهرت آثار أعمدته وجدرانه عند الحفر في انحاء المدينة . وقد وصفت ذلك بتطويل في « تاريخ المعني » المطبوع فراجعه في الصفحة ٣٣٢ وهو المدون بقامي في مجلد يشتمل على ٤٤٦ صفحة بقطع الربع وبحرف دقيق طبع سنة ١٩٣٤ .

وجاء بعده الامير بشير الشهابي الكبير حاكم لبنان فعزز التجارة والصناعة ولا تزال آثار أعماله مشهورة بيننا ومنها قصر بيت الدين والمقصف وغيرهما وفيهما جمال الهندسة وبديع النقوش .

ثم راجت بعد ذلك وقبله التجارة والصناعة فاشتهرت بلدان كثيرة في العمران ولا سيما الصناعة من ذلك (بيت شباب) في متن لبنان فانها أول ما عرفت صناعة (سبك الاجراس) الكبيرة للكنائس عندنا والتفنن بالقيانة (القردحة) وعمل الاسلحة والنجارة والحدادة والنسج .

وانتشرت هذه الصناعات عدا عمل الاجراس في قرى لبنان مثل بكفيا ودوما والبترون وغيرها .

فاشتهرت جزين بعمل الجوارح كالسكاكين والالات القاطعة والحدادة .

وامتازت بلدة (الزوق) في كسروان بالنسج والتطريز باتقان فائق حتى كانت اعمالها الفاخرة الثمينة تهدى الى الملوك والامراء في بلادنا واوربة واميركة .

وعرفت مدينة زحلة بصناعات نفيسة منها سبك الحديد والنحاس والقيانة (القردحة) وعمل الاسلحة والنسج وعمل الاجراس الصغيرة

(الجلاجل) التي تعلق على الحيوانات والصياغة والبناء وعصر الخمور واستقطار العرق ونسج البسط والعباآت وعمل اللباد وسروج الخيل والدباغة .

واشتهرت قصبة الشوير بالصياغة والقيانة والبناء .

وكثرت معامل استقطار الخمور في شتوره وديري تعنايل وكساره للآباء اليسوعيين في جوار زحلة . واشتهرت مشغرة في بقاع العزيز بصناعات متقنة كالحدادة والقيانة وأعظمها الان الدباغة فان فيها معامل كثيرة تشغل جميع شبانها .

وكذلك كفرعقاب في قضاء المتن عرفت الدباغة المتقنة وبعض الصناعات .

وقصبة بسكنتا اللبنانية فيها صناعات متقنة مثل الحدادة والقيانة والنسج .

اما مدن بيروت وطرابلس وصيداء وصور وما يجاورها ففيها الصناعات الفاخرة والمعامل الكثيرة للنسج وعمل البلاط على انواعه ومن ذلك معامل صنع الورق في بيروت التي عرفت بحسن اعمالها ودقتها وان كان لم يطل عهدها مع غيرها من معامل النسج وصنع الادوات واشباهها الى كثير من الاماكن التي لا محل لتعدادها بهذه العجالة .

وكانت الصناعة اول ما حملت بعض سكان بلادنا ولا سيما لبنان على المهاجرة الى مصر واوربا واميركا ففتحت ابواب الهجرة وتقاطر الناس زرافات زرافات الى ديار الغربة فاشتهروا هنالك بتجارتهم الواسعة وارتفعت منزلتهم في عيون الاجانب فنالوا المراكز السامية والوظائف المختلفة وجمعوا الثروات الطائلة واكتسبوا الصيت الحسن الذي رفع بلادهم واسرهم الى اوج الفخار ولا يزالون في مقدمة المهاجرين من الامم الاخرى بآدابهم واخلاقهم واجتهادهم وحسن معاملتهم زادهم الله ترقياً ووفق اعمالهم المجيدة .

كيف نرقي صناعتنا وتجارتنا ؟

كل من درس شؤون العمران عند الامم الراقية قديماً وحديثاً وسبر غور تقدمها وانتشارها يقف على افضل الذرائع المتخذة لرفع شأنها وتعزيزها وتوطيد دعائمها في رقي البلدان وادرار الخيرات على سكانها .

فانفع ما نامع اليه بهذه العجالة الآن الملحوظات الآتية لعلها تفيد ، فذكر ان نفعت الذكرى .

١ – يقوم العمران ولا سيما في ركنيه المذكورين بمعاضدة الحكومة ومراقبتها لكل انواع التجارة والصناعة مثل غيرها من اركان العمران والسهر على تفقد شؤونها ومايفيدها او يضرها وذلك بالوقوف على معايبها او اهمالها او تشويشها ونحوه واصلاح ذلك عاجلا لئلا يفسد مبادئها بالتأجيل فتعم الفوضى ويسود الاهمال وهو آفة الاعمال .

٢ – فرض الغرامة والعقاب على كل ما يقف في طريق ارتقائها او يؤخر انتشارها وتعميمها والانتفاع منها مما يعد خسارة عامة وان كان فيه منافع خاصة ، لان المصالح العامة يجب تقديمها على المصالح الخاصة افادة للمجموع لا افادة للافراد .

٣ – انشاء المعامل على احدث الطرق وأنفعها في تعزيز نجاحها ورفع منارها اسوة بالامم المتمدنة اليوم وبالحضارة العمرانية الراقية وذلك بتعيين لجان خاصة لكل فرع واكثر من ذوي الخبرة الذين يدرسون اصولها باتقان وينالون شهادات المدارس التي تلقنوا فيها مبادئها وتخرجوا بفنونها وعالجوا اسباب تقدمها والتجافي عما يحط من منزلتها او يشوش اعمالها فتقل الثقة بها وتتأخر .

٤ – اقامة جمعيات لانشاء معارض لفنونها تشتمل على المسابقات والمنافسات في تجويد الاعمال كل سنة او كل نصف سنة يوكل الى مؤلفيها البحوث في ما يتعلق بادرار الخير على متقنيها والقائمين على توطيد مبادئها الاولية ورفع اركانها باخلاص وصدق نية وحسن مكافأة وتنشيط الذين يقومون بهذه الواجبات مخلدين ذكرى هذا التقدم في نشر تقاويم وكتب مطبوعة عنها توزع على الناس والصحف فتتناقل الالسنة بنجاح هذه الذرائع وتخلد ذكرى الفائزين بين دفات الكتب وعلى صفحات الجرائد والمجلات .

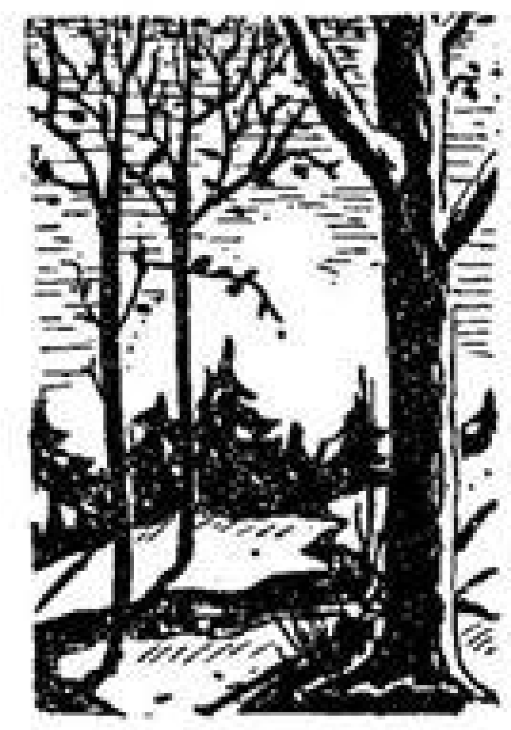
٥ – الاطلاع ببعثات خاصة على ما عند الامم الاخرى الراقية من الذرائع الفعالة لتوثيق عراها وتوطيد اركانها واقتباسها مما فيه فائدة لاوطاننا بانشاء المعامل والمصانع على اقوم الطرق العملية العصرية وانفعها .

٦ – منح الجوائز والشهادات للذين يتفوقون على غيرهم في معالجتها وممارستها وتنشيطهم في احراز قصب السبق ونيل الامتيازات .

٧ – تعميم الاستفادة وتعزيز الرغبات لمن يتقن العمل ويجوده ويتفنن فيه ومنع احتكار التجارة وحصر الصناعة كأنها سر من الاسرار المكتومة وذلك في فئة طماعة مستأثرة بنفسها محبة لنفع ذاتها فقط مبغضة لانتفاع غيرها بنشر ما يفيده .

هذا الى غير ذلك من الذرائع الفعالة التي هي من واجبات الحكومة الساهرة على نجاح بلادها وسكانها وافضلها اليقظات والانتباهات التي تسدد الاعمال وتحقق الامال .

عيسى اسكندر المعلوف



هدأ الليل

●

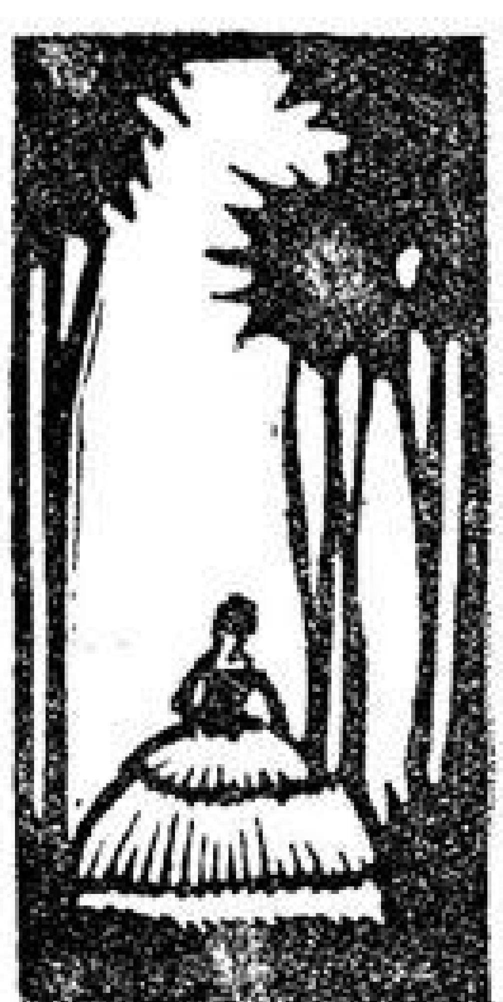
هدأ الليل لنا
اسكريني واسكري
يسكر الليل بنا
اي ظل مقمر
انت فيه، وانا

☼

تنبت الارض، متى
نطأ الارض، منى
فهنا ذوب الندى
وشذا الورد هنا
وعلى الارض، على
رحبها، حلم هنا

☼

هدأ الليل، فلا
تحسبي الليل ونى
ملّ انات الهوى
ورآنا فرنا
نحن، انىّ نلتقي
نبعث الفقر غنى
نحبك الزهو على
راحة الوهم سنا
نحن حب ورضى
وارتقاص وغنا
ننثر الاحلام في
مجهل الليل دنى
ونلم الشعربا —
— لجفن، طيباً وجنى .



نقولا بسترس



اصل الموسيقى العربية

من آثار الموسيقار النابغة المرحوم اسكندر شلفون

« تتمة »

كان العرب الاولون على الفطرة شأن كل امة عند نشأتها ، لا يعرفون الشعر . ثم ارتقت افكارهم وارتقى معها الكلام فكان السجع . والسجع هو اول فن الكلام . واول من استعمله الكهان وقد كانوا يغنونه . وكان العرب يتساجعون ويتذاكرون بالسجع ويغنونه . ونرجح ان تاريخ الغناء يبدأ من هنا . ثم ارتقت الافكار ايضاً ونطق العربي بالشعر ونشأ الدور الفني في حياته ، وكان عصر الجمال الاول .

اما الموسيقى فقد كان مكانها قبل تلك العصور مكان الكلام قبل ان يخلق الشعر ، اي لم تكن فناً بعد . حتى اذا ما خلق الشعر وامتزج بالموسيقى نشأ الدور الموسيقي الفني وابتدأت الالحان ، وكان عصر الجمال الثاني .



المرحوم اسكندر شلفون

وقد اتفقت الروايات ، ولا ندري أهي من مصدر واحد ام من جملة مصادر ، على ان وزن الشعر في الاصل مأخوذ من سير الجمل في الصحراء ، والميزان المسمى بالرجز يوافق من حيث المفاصل خطوات الجمل ، ولذلك استعمله العرب في حث الابل على المسير وسموا ما يتغنى به الحادي من الشعر المصنوع على الميزان المذكور « حداء » وهذا هو اول ميزان عرف عند العرب .

ولما كان الشعر والموسيقى توأمين ولا يمكن ان يكون الشعر في مكان لا تكون فيه الموسيقى والعكس بالعكس ، ولما كان العرب قد نظموا الشعر قبل الاسلام بزمن بعيد ، اذن فقد غنوا ايضاً قبل الاسلام بزمن بعيد . والرجز هو اول ميزان للشعر عند العرب . وعند القوم ضربان من الرجز : المشطور والمنهوك . وهذا مثال من الرجز المشطور :

دع المطايا تنسم الجنوبا ... ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا ... يشهد ان قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا ... يسر مما اعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا
اذن لاثرن بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

فاذا ما ركبنا ناقة وسرنا بها الهوينا وتغنينا بهذا الشعر بطريقة يرسل فيها على طبيعة لفظه ومقاطعه ، اتضح لنا ان مفاصله ومقاطعه في الكلام والغناء تتفق مع خطواتها وتنطبق عليها . وهذا مثال من الرجز المنهوك :

اعطيته ما سألا
حكمه لو عدلا
قلبي به في شغل
لا مل ذاك الشغلا

وهذا الضرب الاخير يستعمل عندما تسير الابل بسرعة .

ويقابل ميزاني الرجز في سير الابل ميزان الخبب في سير الفرس اذا ركض خبباً وهو على وزن « فعلن فعلن فعلن فعلن » وهذا مثال منه :

ابكيت على طلل طربا ... فشجاك واحزنك الطلل

وكان اكثر العرب قبل الاسلام من اهل البادية متفرقين قبائل وعشائر وافخاذاً وبطوناً في الحجاز ونجد واليمن وتهامة وحضرموت وعمان والاحساء والبحرين ومشارف الشام والعراق . اما المتحضرون فكانوا اقلية يسكنون المدن . ولم يكن يومئذ من المدن العامرة في جزيرة العرب غير مكة والمدينة والطائف في الحجاز وصنعاء في اليمن وبعض المزارات في اواسط الجزيرة وبعض الموانيء على الشواطيء . وكان اكثر سكان اواسط جزيرة العرب من قبائل مضر واعظمها يومئذ تميم في شرقي نجد وشماليها ، وقبائل غطفان وسليم وغيرها في نجد . وارقاها قريش في مكة . وكان من القبائل القحطانية هناك طي في نجد ، ومذحج في اطراف الحجاز ، واكثر سكانها في الشمال من بني ربيعة ومنهم بكر وتغلب في بادية العراق والجزيرة . فلغات هذه القبائل



كانت تختلف فيما بينها باختلاف اصولها ومساكنها ولهجاتها ، ويزداد الفرق بينها بازدياد البعد بينها وباختلاف ما يجاورها من غير العرب .

ويستنتج من ذلك ان الغناء عند اولئك الاقوام لم يكن جميعه بشعر من اللغة العربية الفصحى ، اي لغة قريش والقرآن الكريم ، بل كان احياناً بلغات كثيرة ولهجات عربية تختلف عنها باختلاف القبائل . على ان ذلك النوع من الشعر رغم مخالفته لقواعد اللغة الفصحى ولهجتها المعروفة قد امتاز بسذاجة رقيقة جميلة وخيال عجيب ومعنى قوي وعواطف ملتهبة تكاد تضطرم واستطيع ان اقدم المثال الآتي كأنموذج :

اللي عيونا بالدجى مقرونا ... في الليل لسود خاطفه لعمار
واللي خدودا شمعتين موقودا ... في قصر عالي طالقه النوار (١)

(١) القاف الواردة في « مقرونا » و « موقودا » و « طالقة » تلفظ معطشة اي كما تلفظ الجيم العامية في مصر .

ومن اقدم انواع الغناء عند العرب الهجاء ، فكان الشاعر اذا ما هجا غنى شعره امام اهل القبيلة المجتمعين حوله . وهذا مثال :

لعمرك ما عمرو بن عمرو بماجد ... ولكنه كز اليدين بخيل
ينام على التقوى ويوقظه الخنا ... فيخبط اثناء الظلام فسول
مواعيد عمرو ترهات ووجهه ... على كل ما قد قلت فيه دليل

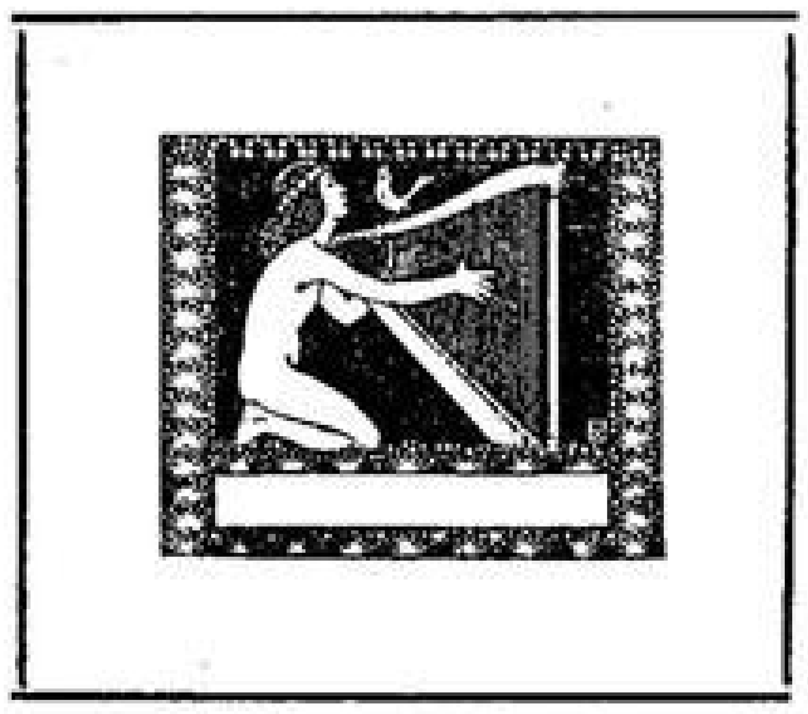
وكانت العادة عند العرب رواية الشعر ، وكأن القوم كانوا يعتقدون ان لا فائدة لشعر بلا راوية . ففي الجاهلية كان الشاعر اذا نبغ استصحب رجلاً ممن امتازوا بقوة الحافظة ليعي اشعاره اولا ، ويستعين به على استظهارها اذا ما خانته الذاكرة ، ثم ليرويها له امام الناس في المفاضلات والمقارعات والمفاخرات ، ثم ليروي له اشعار غيره من الشعراء لاقامة الدليل او الشاهد . وكان الشعراء يختارون هؤلاء الرواة من الذين يتوسمون فيهم الاستعداد للشعر او ممن يكونون مرشحين للشاعرية ، فكأنهم كانوا تلامذة الشعراء يتدربون على ايديهم ويأخذون عنهم .

ولما كان العرب في الجاهلية لا يكتبون فقد كان للرواة اهمية عظمى في حفظ الاشعار اذ كان الشعر في ذلك الزمن كأنه تاريخ للحوادث ، وكلما كثرت محفوظات الراوية عظم شأنه . وكان اكثر الرواة ينشدون الشعر بطريقة الانشاد . وهذه الطريقة لا نظنها تختلف عن الطريقة التي ننشد بها قصائدنا اليوم ، فتكون قد وصلت الينا الطريقة المذكورة بالنقل والوراثة . ومما اسوقه تعزيزاً لنظريتي في هذا المعنى الدليل الآتي :

ان لكل لغة من لغات الامم احكاماً على موسيقاها وتأثيرات فيها . ومما لا شك فيه ان مخارج الالفاظ ونبرات المقاطع وروح اللهجة في كل لغة لها تأثيرات بليغة على نبرات الموسيقى ولهجتها . واذا كنا نرى فرقاً كبيراً بين موسيقات الامم من حيث لهجاتها ، فذلك يرجع الى الفرق الكبير في بعض الاحيان بين لهجاتها وطبيعة الفاظها . فالموسيقات الافرنجية مثلا تختلف فيما بينها من حيث اللهجة والنسيج والانشاء والتكوين . وكلما تقاربت اللغات تقاربت الموسيقات في الشرق ، فالموسيقى عند العرب والترك والفرس لا يختلف بعضها عن بعض الا بقدر اختلاف اللهجة والنسيج والصورة اللفظية ، فيما بين لغاتها .

والذي ننبه اليه بصفة خاصة هو ان الفضل في التلحين لا يرجع جميعه الى الملحن وحده بل تشاركه اللغة من طرف خفي في قسم

كبير من ذلك الفضل . والكلام له حصة كبرى في مهمة التلحين . وطبيعة الالفاظ اللفظية لها تأثير كبير في طبيعة الموسيقى والملحن الماهر من عرف كيف يستفيد من اللهجة



اللفظية ويتمشى مع الالفاظ فيعطيها ويسوقها في اللحن على طبائعها .

ابتغيت بما تقدم شرحه ان اقرر انه لا يمكن ان يكون هناك فرق بين طريقة الانشاد في العصور الجاهلية وطريقة الانشاد في العصر الحالي ، طالما ان لغتنا اليوم هي تلك اللغة الفصحى التي كان يتكلم بها أهل الجاهلية ، فلهجتنا ولهجتهم في الموسيقى واحدة ، وروح موسيقانا هي روح موسيقاهم ، وطريقة الانشاد عندهم هي طريقة الانشاد عندنا .

ومن انواع الاغاني التي اشتهرت في الجاهلية اناشيد المراثي . ولقد اختص بها جماعة كبيرة من النساء تسمى النائحات . وكان الرجال احياناً يزاحمون النساء في مهنة الندب في المناحات .

وكان ايضاً لنساء العرب في تلك العصور نوع من الاناشيد الحماسية ينشدنه في الحروب والمواقع . فقد كن يأخذن الدفوف يضربن عليها خلف الرجال ويحرضنهم على الثبات والهجوم . وهذا انموذج من تلك الاناشيد يلقى بلحن حماسي شديد :

نحن بنات طارق ‏ ‏ نمشي على النمارق

الدر في المخانق ‏ ‏ والمسك في المفارق

ان تقبلوا نعانق ‏ ‏ او تدبروا نفارق

فراق غير وامق

ومن يقابل بين ما كانت تغنيه نساء العرب في تلك العصور البعيدة وما تتغنى به نساؤنا وبناتنا اليوم من الاغاني (الطقاطيق) الساقطة القذرة لا يلبث ان تدمع عينه حزناً وغماً .

وقد كان العرب صنفين : البدو والحضر . فالبدو وان كانوا ينشدون ويغنون في جميع الانواع ، الا ان حالتهم وانظمتهم الاجتماعية لم تكن في عصر من العصور مما يجعل للموسيقى شأناً . لذلك لم تكن عندهم من المهن التي يقبل عليها الافراد .

اما في الحضر فقد كان للعرب انظمة وتقاليد اجتماعية خاصة بهم . لذلك كان للموسيقى عندهم بعض الشأن ، مما جعل الناس يمتهنونها ويتداولون الآلات الموسيقية .

وفي آخر زمن الجاهلية كانت الموسيقى في ايدي اقلية من الرجال واكثرية من النساء . فمن الرجال فريق كانت مهنته الندب في المناحات ، وفريق مهنته العزف على الآلات . وكان الفريق الاكبر فريق المغنين ، يغنون أنواع الشعر في الفخر والحماسة والمدح والهجو والرثاء والعتاب والغزل والنسيب وغير ذلك من الاغراض ، كأشعار عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد وعبيد بن الابرص الاسدي والمهلهل بن ربيعة وزهير بن جناب والسموأل وحاتم وسواهم .

اما النساء فكانت الاكثرية منهن تمتهن الرقص والضرب على الآلات والغناء . وقد كان العرب يسمون الجارية التي تغني أمة ، والجارية التي تعزف قينة . واول من غنى من قيان العرب قينتان يقال لهما الجرادتان كانتا لمعاوية بن بكر العلقمي على عهد عاد ، لكن هذا الخبر يحتاج الى اثبات .

وهكذا استمر الحال عند العرب حتى جاء الاسلام .

من ذكريات بغداد

[٢]

الحمّام



في عاصمة « العجاج » الحمام من اشد الضروريات ولعله من بقايا الجنة المولية التي كانت هناك . وهو في بغداد القديمة عالم منفصل عن العوالم البغدادية الاخرى « كالشاي خانه » مثلا او المقهى ، واني لسوف اذهب بك الى الحمام من غير بابه الشرعي ، من باب الاتون حيث تتضطرم النيران على انواعها .

. . . وهذا سعيد تناول فأسه وتقدم على عادته في كل صبيحة، من احدى حزم الحطب وراح عبثاً يراود عقدة الحبال الحرون عن نفسها . فلما أبت الاستسلام دق عنقها بفراعته ، ومن ثم عمد الى مكنونها وانشأ يفرق بين الجزوع والاطراف ، جاعلا لكل منها مكاناً على حدة . وهكذا كان شأن بقية الحزم وبعض عقد حبالها . فتارة يعمل فأسه في الجزوع الكبيرة وطوراً يلجأ الى منجله ، فيشذب الاغصان كيما تجتاز كوة الاتون دون اي عناء او مقاومة .

وهكذا دواليك حتى منتصف الليل ، وصاحبنا يقضي العمر في « توضيب » محطب الحمام . ويزف ذخيرته الى الغرفة المجاورة حيث يتناولها عثمان بدوره ويزفها الى بيت النار .

وقد الهم الله سعيداً الصبر على مضض هذا العيش المتواتر بين حزم الحطب ووقع الفراعة وعقد الحبال وانه ليهد من عزمه ويشل في ساعده ويطني شعلة الحماس في سريرته ، في سبيل الحصول على اللقمة الحمراء المضرجة . اما الآمال العذاب التي كانت ، وهذا المستقبل المتغامض فسر لا يعلم كنه الا الله .

وفي الغرفة المجاورة على بعد خطوة من كوة الاتون يربض عثمان وقد كست هيكله حمرة اللهيب واخذت ألسنة النار المتراقصة توشح سحنته بضياء سحري وهاج منير، وكأنه قد استحال صنماً متجمراً تمثلت في عضل هيكله ظلال قانية وبطاح قرمزية « نفود » هي اشبه بالبراكين . فهو ككل سكان الحمام لا يستر جسده سوى مئزر يطوف بوسطه ويعتلي اسفل بطنه ويسترسل الى ركبتيه . وكأن خطوط مئزره الحمراء قد زادت في احزام هيكله ، وقد اتم ذلك وشاح رأسه المخطط ايضاً حتى بدا صاحبنا وكأنه قد بعث من جهنم « ابي العلاء » ليؤدي في هذه الدنيا « رسالة الغفران » .

بيد ان عثمان وقد نشط الى الحركة الان ، لم يكتف بما امده به زميله سعيد من جزوع بتراء ، واغصان شحلاء فكان يعمد الى رفشه بين الآونة والاخرى ويتقدم من هرم عجرم الزيتون ويغترف من بطاحه حفنات يلقيها متوالية في جحيم الاتون .

وكأن الله قد الهم عثماناً الصبر ايضاً على مضض هذا العيش المتعاقب في سلسلة متواصلة من كوة جهنم ، والحطب حتى عجرم الزيتون فهو يهد كذلك من عزمه ويفت في ساعده ويطني شعلة الحماس من سريرته ، في سبيل الحصول على اللقمة المضرجة ، اما الامال العذاب التي كانت ، وهذا المستقبل المتغامض فسر لا يعلم كنه الا الله . .

في الهزيع الاخير من الليل قبل ان ينشر المؤذن عبير الايمان في سماء الفجر ، ينسل الحاج عبود من وكره الدفيء الذي كان قد اصطنعه والده خصيصاً لنفسه ، على مقربة من القاعة المتوسطة وراء « الحلة » الكبيرة التي اخذ السعير يسترجع دبيبه في مراجلها منذ برهة ببطش فأس سعيد وعراك ساعد عثمان .

وبعد ان يجلس الحاج عبود على مصطبة القاعة الوسطى ويلتحف عباءته « البصراوية » ويعمد الى سبحته وينشأ في تسبيح الله وشكره على نعمة الحياة ودوامها . يعطف على ذكر الرسول الكريم ، ويعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويتمتم قائلا : « اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، آمين » . ومن ثم يصفق للقهوة والنرجيلة ، وينادي الغلام في طلبها :

— رشيد ... يا ولدي رشيد ...

رشدو ... يا رشدو ...

فيجيبه الغلام لفوره من داخل الحمام بصوت تفوح منه الغنة والبهجة والحبور .

— حاضر يا « عمي » حاضر ...

وحقاً لم يكن رشيد على مقربة قط فها هو قد حضر، وانه قد تخطى الرواق يحمل الى سيده وجهه الامرد الصبوح ذا العينين الكستنائية الدعجاء والغرة المسترسلة .. ويقبض بيمناه على عنق نرجيلة طهازية هيفاء من بنات الجنان، قد عبق بخورها وشع جمرها ، وصفا في قارورتها الماء . وتناول بيسراه طبق القهوة النحاسي وقد احتوى ركوة لماعة تظل كأسين لسامرين .. ها هو رشيد قد اجتاز عتبة الرواق واشاح السجف برأسه واقبل على سيده مصبحاً بشفتيه ومبتسماً بعينه . وانحنى امامه واضعاً « كل شيء » في موضعه .

لنسدل الستار هنيهة على نرجيلة الحاج ولندعه يقطع شوطاً في نعيم صبيحته هذه الدافئة اللذيذ ولنعد الى الرواق المتشعب حيث يواصل فرج العبد « توضيب » المناشف والالياف والاكياس ، واضعاً بعضها على الحبال ، وطاوياً بعضها او مصنفاً بعضها الآخر في المحارب السماقية والقمار الخشبية .

ولما لم تكن هناك عين تراقبه او ترعاه فهو يسرع في حل مئزره الازرق ويستبدله بنشفة شامية حمراء طالما استرعت اهتمامه ووقعت من قلبه موقع الرضى والامل ، وقد حانت التفاتة الى رف الفاكهة فجحظت عيناه وسال لعابه وامتد ساعده الابانوسي فاذا هو يقبض على تفاحة حمراء ايضاً وسرعان ما نهشها فحلت في معدته محل الحبور والرضى ، وسرعان ما طمس على اثرها خشية لمحة من اعين الرقباء .

وعلى بعد سبع خطوات من مناشف صاحبنا العبد ينفرج الرواق عن قاعة الحمام المستديرة الكبرى حيث ينهمك هذه الساعة ، ابو جلال في ترويج القباقيب فيجمع شملها ويوحد صفوفها ويستعرضها زوجاً زوجاً كما تستعرض فيالق السلاطين ، بادئاً بالجبابرة منها العظماء ذوي الكعاب الرفيعة حتى ينتهي الى الاقزام الحفاة وقد رصها جميعاً في الرواق « حاظ دور » غب الطلب .

ومن ثم يعمد الى الزناطيس والاباريق والحنفيات فيعالجها بالرماد وعصير الليمون فتخرج من بين يديه براقة لماعة وكأنها صيغت من ذهب الابريز . فيحمل الزناطيس ويوزعها على الاجران الرخامية الراقدة حتى اذا ما لامسها النحاس استفاقت من غفلتها ودوت اصداؤها النهوندية المتقطعة وتجاوبت في انحاء القاعة المستديرة الخالية الرطبة .

ولما لم تكن للرقيب عين هناك فقد طاف صاحبنا على الاجران ثانية يتفقد في جوارها بقايا صابون الامس ويجمعه في حفرة سرية تحت رخامة من ارض القاعة . وبعد ان يغسل اثار الجريمة بحفنة ماء يعمد الى حنفية الحلة ليستوثق من استطراد غليان الماء .

وانه لكذلك اذا بزميله ابي ظهير « الدلاك » يدخل القاعة وقد استهل الصباح بتحياته وسلاماته المزمنة فيجيبه ابو جلال باحسن منها على عادته ايضاً . ويستأنف ابو ظهير خطواته بعد ان يمكن « سير » القبقاب الجلدي من اصابعه ويتجه نحو قرية الحطب فينحني فوقها وينادي بصوته الجهوري الخشن سعيدا وعثمان ليبثهما اشواقه وينفحهما بسلامه ويتمنى لهما صباح الخير .

ويدخل القاعة بشير الاخرس الملقب « بالحمامجي » وقد انصف الله الصدق والقول بان اقتطع من لسان بشير بعض السنتيمترات لذلك فالمسكين مرغم على ان يكتفي باشارات السلام ورموزه البكماء دون اي موسيقية او تنغيم . فينحو نحوه ابو ظهير، وينهج نهجه ابو جلال لكن ابا ظهير لا يستطيع كبح جماح المداعبة الغليظة فسرعان ما يمتد ساعده المرماح حتى تصل كفه الغليظة الى لبدة بشير فينقر عليها «جلاقة» واحدة تتجاوب رناتها واصداؤها في قاعات الحمام وأروقته ومقاصيره وعلى الاثر يقهقه فرج كأنما مسته جنة وقد أخذ منه المرح الافريقي مأخذه حتى انه ليكاد يرقص وينقلب على قفاه .

واذا بصوت سيدهم الحاج عبود يلعلع غاضباً صاخباً :

« يا فتاح يا عليم ، يا رزاق يا كريم ، اتقوا الله ! اتتصحبون بالمولدنات والمشاحنات ؟ اتقوا الله ! انا لم نستفتح بعد . »

« ابو مزواد »

بقلم حليم دموس

حكم سيوفك ! ...

« عنترة »

يا جارة الوادي ! ...

« شوقي »

كان ذلك في اواخر ايلول من عام ١٨٩٨ .

اي منذ ٤٤ سنة !

وكنت في العاشرة من عمري . في حي الميدان . في مسقط رأسي (زحلة) . وكان بيتنا الوالدي المجاور للكنيسة مبنياً من الحجر الغير المقصوب، ومن اللبن المجفف بالشمس، وسقفه من جسور خشبية قديمة . وهو اليوم على الطراز الجديد . وعلى مدخله هذا البيت :

بنوا فهدمنا كي نجدد ما بنوا   وغاية هذا الكون ان يتجددا

وكان حينا خالياً من الطرقات الحديثة فهو مجموعة ازقة ضيقة متعارضة صعبة المسالك وموحلة في فصل الشتاء. وقسم منها مرصوف بالحجارة الصغيرة الناتئة .

وكان الناس يمرون من امام بيتنا اما الى الكنيسة للصلاة، واما الى الطريق المؤدية الى الكروم وكنت تراهم عند مطالع الفجر يحملون سلال العنب والتين. وتسمعهم يتحدثون عن شؤونهم الخاصة او عن بعض المصطافين او المهاجرين القادمين من مصر او اميركا.

وكان والدي عائداً من المهجر في تلك السنة. وهو من المغرمين بنظم الزجل اللبناني يرتجله على السليقة . وله فيه جولات وعدة مقاطع يرددها بين الاهل والصحب للذة الفنية فقط . وقد نظم بعضها في الوطن . وبعضها الآخر في المهجر .

وكان كلما اراد اسماعنا قطعة من منظوماته الزجلية استهلها بابيات لعنترة العبسي مطلعها :

حكم سيوفك في رقاب العزل   واذا نزلت بدار ذل فارحل

ورأى ذات يوم انني انهيت دروسي الابتدائية في مدرسة الحي فعزم على ان يدخلني (المدرسة الشرقية) المجاورة لدير مار الياس في اعالي (حي الراسية) .

وللمرة الاولى وطئت قدماي تلك الانحاء مع والدي . وبلغنا ذلك المعهد الوطني الجديد القائم على رابية مرتفعة . وهناك قيدت اسمي وكان رئيس (الشرقية) يومئذ المصلح العلامة بولس الكفوري .

وبعد ان ودعناه شاء والدي ان نسير من جهة الدير الى (الضفة) فوادي العرائش . ثم نعود عند العشية الى البيت سائرين على ضفاف (البردوني) الذي يخرج من جوار (قاع الريم) متكسراً بين الصخور كالسيل ، متحدراً كالجلمود ، صاخباً كالموج ، متلوياً كالحية ، ثم يشق وادي العرائش هابطاً الى غياض زحلة والمعلقة وحوش الامراء، غاسلا دموعه بدموع (نهر الليطاني) المنساب في سهول البقاع . المتغلغل بين البساتين والمزارع والكروم ، لينصب في بحر الروم .

ولم يكن في زحلة يومئذ قهوات كبيرة متقنة كقهوات اليوم، ولا دراجات او سيارات تكتظ بها المسالك والشوارع ، بل كان في الوادي قهوات بسيطة ، متفرقة هنا وهناك ، وهنالك . . .

وعلى الطرقات : عربات خيل قديمة وجديدة ، تسمع لدواليبها قرقعة وهديراً ، وتمر بنا يميناً ويساراً ، والغبار يعلو جانبيها وينتشر على دواليبها ، وعلى السائق ، وعلى الركاب والمارة ، فيعقد في الفضاء قباباً ، وتحسبه اعصاراً او ضباباً بل سحاباً . . .

ودخلنا (الوادي) فاذا نحن بين هبة النسيم ، وهدير النهر ، وشعشعة السواقي ، وصدى اجران الكبة يرن في جوانب الوادي بين الحور والصفصاف المتدلية اغصانه الخضراء ، كأنها تقبل عيون الماء . .

والناس حائمون حول موائد عليها العرق في اقداح وقنان وبطحات بين صحون الفاكهة وبزور النقل (الماظة) ، على كراس صغيرة مختلفة الالوان من زرقاء وحمراء وسمراء . والى جانبهم عناقيد العنب البيضاء والسوداء ، راسية في قلب الماء ، وحولها رؤوس البطيخ من حمراء وصفراء .

وهناك جماعة تسير في اطراف الوادي ذهاباً واياباً ، وجماعة تتغنى بالميجانا والعتابا ، وفتيان مفتولو السواعد ، واسمو الصدور ، عريضو الاكتاف ، يرددون بلهجتهم الزحلية وأصواتهم القوية المتهدجة نشيدهم الوطني :

(زحلة عروس مزينة . . . ومزينة برجالها ! . . .)

وما كدنا نقطع المرحلة الاخيرة ونعود أدراجنا من فم الوادي

حتى اقتربنا من مطحنة (مراد) وكانت مزدحمة بجماعة المكارين القادمين من انحاء (المتن) لمشترى الحنطة والبرغل وبعض الحبوب استعداداً للمؤنة في فصل الشتاء .

وفجأة رن في مسمعنا صوت رجل في الضفة الثانية من النهر ينشد قائلا :

حكم سيوفك في رقاب العذل ! ..

وحانت من والدي التفاتة الى جهة الصوت . فاذا المنشد صديق له حميم عاد حديثا من دار الغربة . وقد حفظ عن واندي تلك النغمة يوم كنا معاً في (بونس ايرس) عروس اميركا الجنوبية وعاصمة الجمهورية الفضية .

وكان لقاء وعناق ، وذكريات واشواق ، ووداع وفراق ! .

ومنذ تلك اللحظة ، بل في تلك الدقيقة وانا بين (الماء والخضرة والشكل الحسن) شعرت بلذة تلك النغمة العذبة ، وأحسست بميل عميق الى الشعر ، والى ترديد اغاني والدي من (معنى وزجل) ، واستظهار ابيات عنترة من (حماسة وغزل) ! .

ودخلت (الشرقية) في اوائل تشرين ١٨٩٨ وكان من اساتذتنا البحاثة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف ، والعلامة الرياضي المعلم جرجس همام .

ووزعت عمدة المدرسة علينا عدة كتب للقراءة والاستظهار .

فكان نصيبي نسخة من (مجاني الادب) للاب لويس شيخو اليسوعي .

ومن غريب الاتفاق ان قصيدة عنترة نفسها كانت من برنامج الاستظهار . فسررت بها . وتلوتها في الصف باتقان وسهولة وارتياح وبفضلها نلت جائزة النجاح .

واول ابيات حاولت نظمها وانا على مقعد المدرسة كانت على البحر (الكامل) وهو البحر الذي منه لامية عنترة (حكم سيوفك ..) ولا يزال هذا البحر اسهل الاوزان الشعرية عندي .

وكان في خزانة المرحوم حبيب غنطوس (والد صهري) عدة كراريس متسلسلة من قصة (عنترة) يحتفظ بها احتفاظه بانفس واثمن كتب عربية عنده . فطلبتها منه لمطالعتها تباعا . فحقق رغبتي واول جزء فتحته اتفاقاً لمحت فيه قصيدة (حكم سيوفك ..) مع تغيير قليل في بعض ابياتها وقوافيها ، فضلا عن وجود عدة اغلاط مطبعية فيها

وأول كتاب اشتريته من نفقاتي المدرسية الخاصة كان ديوان (عنترة) . وهو صغير الحجم مطبوع في بيروت . وعليه بيتان من الشعر للشيخ نصيف اليازجي يقول فيها :

ديوان عنترة العبسي نابغة	في كل عصر يفوق البدو والحضرا
ان لم يكن افرس الفرسان عن ثقة	فانه دون شك اشعر الشعرا

فسرتني هذه الشهادة الشعرية بشاعر قديم حببه الي والدي فاحببته لبطولته ورقة شعره . فهرعت الى الديوان بلهفة وشوق وفتحت باب (حرف اللام) لتكتحل عيني باول قصيدة عرفتها لبطل بني عبس وشاعرها (حكم سيوفك ! ...)

وكم كان يخفق قلبي سروراً كلما سمعت الرواة يرددون قصة عنترة ، وكلما قرأت انها نقلت الى اشهر اللغات الحية في الشرق والغرب ، وان الشاعر اللبناني شكري غانم وضعها في باريس رواية تمثيلية بشعره الافرنسي العالي ، وامير الشعراء (شوقي) نظمها بشعره العربي الخالد ، وامير الزجل (رشيد نخله) بشعره اللبناني الرائع .

وعلمت من صاحب لي ان بعض الشركات السينمائية العربية تفكر في اخراج رواية عنترة فلماً عربياً فافرنجياً . ولا شك في انها ستختار تلك الابيات اللامية الخالدة التي لا ازال ارددها بيتاً بيتاً كأنها من محفوظات اليوم .

تلك ذكريات جميلة وواقعية جرت لي وانا في العاشرة من عمري وهي لا تزال ماثلة في الخاطر ، كأنها من ذكريات امس الدابر .

ومنذ ذلك الحين بدأت انظم الشعر على السليقة قبل ان درست فن القريض . وتلقنت ابواب العروض والقوافي في (الكلية الشرقية) التي نظمت فيها اول اوزاني واوتاري ، ونظمت اول الحاني واشعاري .

مر على ذلك العهد ٤٤ سنة . ولا ازال استعرض هذه الذكريات على لوحة الفكر صورة كأنها ادوار سينمائية متتابعة الحوادث متسلسلة المشاهد .

وكلما زرت مسقط رأسي (زحلة) ، سرت متنزهاً الخاطر على ضفاف (البردوني) في شهر ايلول التفت بعيني وقلبي الى (الشرقية) التي نشأت فيها وترعرعت .

وكلما حانت مني التفاتة الى طريق الدير ، ثم دخلت (وادي العرائش) في عهده الجديد ومظهره العصري الحديث شعرت بحنين عميق الى وقفتي الاولى هناك مع والدي ، وتذكرت زمن الطفولة ، وعهد التلمذة الطاهر كنسيم الوادي ، الحر كطائره الشادي ، الصافي كمياه نهره ، اللذيذة كعنبه وخمره ..

وكلما سمعت على ضفاف النهر (زحلة يا دار السلام ! ..) تذكرت تلك الانشودة القديمة الاولى (زحلة عروس مزينة ..)

وكلما ترددت لشوقي اسطوانة (يا جارة الوادي) وهي من الكامل ، خفق قلبي لنغماتها ، وتذكرت اول قصيدة عربية سمعتها على ضفاف النهر في جنبات ذلك الوادي : (حكم سيوفك في رقاب ! ..)

انها القصيدة الجاهلية الاولى التي دب دبيبها في مكمن الصدر ، وأيقظت روحي لنظم الشعر ! ..

حليم دموس



الهوى الاول

بقلم صلاح الاسير

●

... ما برحت اذكر ذلك اليوم الذي لقيتها فيه المرة الاولى وكنت بعد غلاماً ، لم اتجاوز الخامسة عشر ربيعا . وكنا اذ ذاك نقضي ايام الصيف في « بكفيا » ولقد حلا لي ذات يوم القيام بنزهة في الضاحية ، حيث تنعس غابات الصنوبر وتنام ، وتحلم وتورق ، فخرجت من منزلي احمل بيدي كتاب « الاساطير الاغريقية » وسرت في طريق كثير الوعورة ، تحف بي غابات الصنوبر ، الدائمة الخضرة ، حتى بلغت عين الماء ، التي يدعونها النعص وبعد ان شربت من هذه العين المباركة أخذت اجيل نظراً حائراً في هذه العوالم وأخذت أتعرف الى هذه الوجوه الكثيرة المبعثرة هنا وهنا في حديقة المقهى لعلي اجد بينها وجهاً آنس به فلم افلح وانتحيت غب ذلك زاوية هادئة وطلبت كرسيا وطاولة وأخذت أقرأ في الكتاب الذي أحمل وقد علت وجهي حمرة باهتة ، حمرة الحيرة لوجودي وحيداً في هذا الجمع اللاغط وكان عزائي الوحيد كتابي الذي كنت اصطنع القراءة فيه ، اذ لاحظت واحداً يرمقني بعينين مستفهمتين . وفجأة لمعت في خاطري فكرة ارتحت اليها فقمت وجعلت اسير بخطى متثاقلة الاعب هذا وذاك من الاطفال الذين التقيهم في طريقي مستأنساً بوجودهم وبينما انا في غمرة الحيرة التي خلقتها في نفسي هذه النزهة دون ان اصطحب معي صديقاً رأيت فتاة يدفق من وجهها بريق سحري لم اعرف له مثيلا جالسة على الارض في شيء من عدم المبالاة او كأنما هي لم تكن لتحسب ان واحداً سيعكر عليها هدوءها فأحسست انها برمت بي فغيرت وجهة سبيلي وقد عراني شعور غريب أحسه الان في نفسي ، احسه في هذا الحنين الذي يسربلني اذا مرت في خاطري تلك الذكرى وجعلت اتحسس مكان قلبي لانني قرأت فيما قرأت ان لكل واحد في البشر قلباً تحت ثديه الايسر ، ولمست ذلك المكان الذي كنت أعهده هادئاً وأخذت الهث وكأن صدري لم يعد بوسعه ان يسع هذا القلب الذي ما برح يخفق في شدة وعدت الى منزلي بعد ان تعثرت كثيراً اثناء سيري وبعد ان اصابتني هذه الاغصان التي تركت لنفسها حرية النمو في وجهة معاكسة بخدوش بسيطة ولم اكد اصل الى داري حتى أخذت اسئلة اخوتي تنهال علي :

— ما هذا ؟ .. عهدتك هادئاً ... أتشاجرت مع احد ؟ ..

ما هذه الغبرة التي تعلو ركبتيك ؟ .. أخدوش ! ..



لم أجب على هذه الاسئلة ودخلت على امي وأخذت أتهادى في مشيتي وقهقهة اخوتي تجرح خاطري ولم اكد أجدها حتى ارتميت في حضنها وقلت لها اني عثرت في الطريق وكدت أسقط في الوادي فأخذت تخفف عني الخوف الذي زعمت وجوده ، وبعد ان بدلت ملابسي دخلت غرفتي وأحكمت اغلاق بابها وأحسست للمرة الاولى اضطرام نار الفتوة في دمي وذكرت كل ما وقع لي في ذلك اليوم ومر في خاطري فصل قرأته في « الاساطير

الاغريقية» فيهقصة كوبيدون الاله الجميل الذي يحمل قوساً مشدودة وسهاماً ذهبية حادة تنفذ الى قلب الكائن السعيد الذي يختاره كوبيدون من دون الناس جميعاً ليضعه فوق البشر شعوراً وقلبا . وأشرفت على الدنيا من النافـذة ، وخطر لي وانا احدق الى السواد الذي غمر الوجود ان أعود الى الكتاب كي أقرأ فيه تلك الاسطورة ولكني فقـدت ذلك الكتاب وقبعت في سريري مصطنعاً المرض بعدان شارفت نفسي هذا الحنان الغريب الذي تمتزج فيه الشهوة بالطهر والعطف ، هذا الحنان المبهم العميق الذي اثارته في نفسي تلك الفتاة الملائكية التي كانت فيما أحسب مماثلة لي في العمر !..

واستفقت في اليوم التالي والسواد لم ينجل بعد، مغموراً بغبطة سحرية وقلق تشيع فيه العذوبة ولبست ثيابي وسرت في طريق البارحة باحثاً عن الكتاب الذي أضعته لاقرأ فيه قصة كوبيدون والشمس لم تستفق بعد من نومها العميق بعد ان ابتلعها البحر ليلا كاملا، وشعرت ببرودة الصباح وكان النسيم المندى العابق بفوح الارض والصنوبر يلفح وجهي وهذا الجلال الهادىء لا يجرحه غير ثغاء الغنم السائرة في الشعاف نشيطـة متوثبة يحدوها الراعي بلحن شجي ينفخه في شبابته الواسنة والاودية يغمرها ضباب رقيق محموم وكأنه قطع من الارجوان الخافق والقرى المجـاورة تستفيق خالعة مـع الطبيعة رداء الحلم والاخضرار المائج تموج عليـه الاضواء الرخية فيتبادى في ظن العين كأنـه مواكب اعراس. وهنـاك في المنحنى سرب من الفلاحات يهبطن العين في شيء كثير من الدلال الحلو وينشدن الاغاني القروية وقد خلع الصباح على وجوههن غشاوة من النشوة وغمسهن الطهر في الكوثر الرضواني الطاهر . ولقـد عراني ذهول وأخذت تتفتح لقلبي آفاق جديدة لم يكن لي بها عهد من قبل وجلست عند العين احدق الى هذه وتلك من حاملات الجرار الحمراء ولم استفق من تلـك السكرة الحلوة الساذجة الا في الساعة التي خلت فيها العين من الصبايا فاذا هي عين مـاء فقط وما بي ظمأ الى الماء ساعتئذ .



ولست أدري اي دافع دفعني للسير في تلك الغابة متلمساً المكان الذي رأيتها

فيه البارحة ألبحث عن الكتاب ام للبحث عن شيء آخر هو عندي اجل من الكتاب . ومـا زلت اسير حتى بلغت المكان ولم يكن خالياً كما كان عهدنا به امس وانما كانت فيه عائلة تأكل طعام الصباح وكدت اعود من حيث اتيت لو لم أرهـا هي بنفسها مع تلك العـائلة . لم تكن تأكل وانما كانت تقرأ في كتابي انا وما زالت على جمالها بل اني رأيت فيها جمـالاً جديداً وأخذت ادور حول المكان محاولا ان لا يبصرني احـد من اهلها او من الذين عرفت انهم اهلها فيما بعد ، ورفعت عينيها وحدقت الي . اما انا فـأرسلت بصري الى السماء وسرت لا ألوي على شيء . ومـا كدت أخطو بضع خطوات حتى سمعت صوتاً ناعماً يحسر عن نغم بارع يناديني باسمي ، فوجمت وحسبت نفسي واهماً وتلفت يمنة ويسرة فألفيتها تعـدو نحوي والهواء الجري، الوقح يعبث بردائها فيعلو به الى ما فوق ركبتيها الناعمتين ويلهو بشعرها الكستناوي الفاتن واؤكد انـني في تلك اللحظـة كنت اشتري قبلة واحدة طاهرة ، من يدها، من خدها، من ركبتها، بحياتي جميعها . وما كادت تصل حتى قالت لي بلهجة عذبة مرنة : « اظن ان هذا الكتاب كتابك ، فلقد رأيتك تحمله البارحة



ولقد وجدته انا عند عودتي الى البيت مطروحاً عند جذع صفصافة هرمة ، بالقرب من هذا الكوخ ، ولقد امتعني هـذا الكتاب وأراني شاكرة لك ما اوليتني دون قصد ! . »

لم أجب ، وبشيء من البداهة تقدمت منها وأخذت الكتاب وقبضت بكلتـا يدي على يدها الناعمة وسرقت من تلك اليـد قبلة ، بعد ان حاولت كثيراً التملص ، وأصبحنا بعدها صديقين لا يفترقان الا اذا سقطت العتمة وران الليل ، بل كثيراً ما كانت تجيء العتمة ونحن في الغابة ما نزال نقرأ اخبار كوبيدون مستسلمين لهواجس ساذجة .

نعمنا في ذلك الصيف بحياة جميلة وعندما حان موعد نزولنا ودعتني وداعاً حارا بعد ان وعدتني باللقاء في المدرسة وكنا قد اتفقنا على الالتحاق بمدرسة واحدة في بيروت .

هبطت بيروت وانا احسب هذه الايام الخمسة اعواماً خمسة فقصدت والدي في مكتبه وجعلت اطرى له المدرسة التي اخترتها وابي لم يكن من المؤمنين باختلاط الجنسين في المدرسة ويرى في ذلك غلواً كثيراً ولقد لاقيت صعوبة كبيرة في اقناعة وكان يؤكد لي انني على خطأ وكاد يسألني عن الباعث الذي حدا بي الى الانتقال من اكبر جامعة في بيروت الى تلك المدرسة التي يجلس فيها الفتى بجانب الفتاة على مقاعد الدرس واخيراً ترك لي الخيار ، دخلت المعهد فوجدت « ناديا » فيـه وكان اللقاء جميلا ، وشاءت الظروف ان اكون وناديا في صف واحد .

مرت اعوام ثلاثة لم نفترق فيها قط ، ولقد رافق كل منا نمو الاخر واتساع عقليته ، فكنا نقضي الصيف معاً في بكفيا ونقضي بقية الفصول معاً في المدرسة ، ولكن تلك الغمرة ما برحت ان قادتنا الى تفكير صريح جري. وهذا التفكير هو الذي جعلنا نتساءل عن التدابير الواجب اتخاذها لتدوم هذه الصداقة حتى نهاية حياتنا وكان الخجل يمنع كلامنا عن الافضاء بأي شيء من هذا القبيل وكان اهلي يعلمون اني اصادق تلك الفتاة صداقة بريئة . ولهذا اخذت افكر في التحايل على هذه القيود المفروضة . وكان التفكير كثيراً ما يقودني الى اليأس واحسبها كانت تفكر مثلي وكان تفكيرها ولا ريب لا يقودها الى نتيجة مرضية نضمن بها لانفسنا حياة رغدة .



وفجأة مرضت مرضاً شديداً كاد يودي بحياتي وكانت ناديا لا تنفك عن زيارتي في كل يوم حاملة اليّ باقات الزهر وكانت ترمقني وانا اتلوى في السرير وفي عينيها دمعة حائرة تمنعها عن السقوط تارة باغماض عينيها فيتفلت منها وتسقط ، وتارة تمسحها بمنديل ابيض كقلبها . وخطر لي اثناءها ان استثمر هذا الجو ، لخيرنا معاً وذلك في ان اعرض عليها فكرة قد ترتاح اليها فينتهي كل شيء . ولكن الممرضة اللعينة لم تكن لتتركنا دقيقة واحدة منفردين واخيراً ضقت ذرعاً بهذا القلق وطلبت من الممرضة الانصراف وأخذت أتحدث الى ناديا في لهجة جادة ويدها تعبث برفق بشعري المشوش .

يجب ان نفكر جدياً في امرنا سنتخرج من المدرسة بعد مرور شهرين وسأشتغل في محل ابي . يجب ان تكوني صريحة وجريئة في آن واحد . الحب نوع من الايمان يا ناديا بل الحب نفسه من اسمى درجات الايمان اعني بالحب الاستمتاع بالجمال بذاته استمتاعاً دائماً غير مشوب بغاية او بشهوة ، الاستمتاع الخالص تتصل فيه يا ناديا النفس بالشيء الجميل الذي تقدس وتتمثله ليصبح جزءاً منها وبعضها او لتصبح هي بعضه وجزءاً منه . لكل منا الحق كل الحق في ان يقرر مصيره . انا اقدر موقفك ولك ان تقدري موقفي امامنا شيء واحد . . . الزواج الزواج . . .

أصاخت ناديا لحديثي في اشفاق ورحمة وانا اندفع ثائراً وتمتمت بصوت حنون :

« سأفكر وسأجيبك غداً بجواب ترتاح نفسك اليه » .

ولقد نمت في تلك الليلة على الليل نوماً عميقاً فيه اضطراب وفيه طمأنينة منتظراً جواب ناديا ولقد أصبح الصباح وحان موعد قدومها ولكنها لم تأت ، واخذ القلق مني كل مأخذ :

يظهر انها مريضة . . .

يظهر انها لم ترتح الى الحل الذي عرضته عليها . . . ومر ثلاثة ايام ، ولم تعدني فيها ناديا والمرض يشتد علي والاطباء يطلبون مني ان أقلع عن التفكير في اي شيء . وأخذ المرض يصورلي ناديا في بهو المستشفى والاطباء يمنعونها من الدخول علي وعراني هذيان وبعد ان امضيت شهرين في المستشفى خرجت منه لاقضي في الجبل دور النقاهة .

غب مرور عامين على تلك المأساة التي انتهت غامضة ، كنت اتنزه في المكان نفسه الذي لقيت فيه ناديا للمرة الاولى وكنت احمل طعام الصباح في صحيفة بالية عتيقة وجلست في تلك الناحية ووضعت ما احمل على الارض وأخذت ألهو بقراءة هذه الصحيفة القديمة العهد بعد ان اكلت طعامي وكان في زاوية مهملة من تلك الصحيفة الخبر البسيط :

« ان فريد بك . . . غادر الثغر نهائياً الى اميركا تصحبه عقيلته وكريمته المريضة منذ اشهر ، ولقد اشار عليه الاطباء بالسفر لانه الدواء الوحيد الذي يرجى فيه الشفاء لكريمته الوحيدة » .

وبحركة عصبية أخرجت علبة الكبريت من جيبي وأشعلت الصحيفة وأخذت احدق في اللهب الاحمر الباهت وابتسمت وأخذت اقهقه كالمجنون في هدأة عاقلة ! . . .

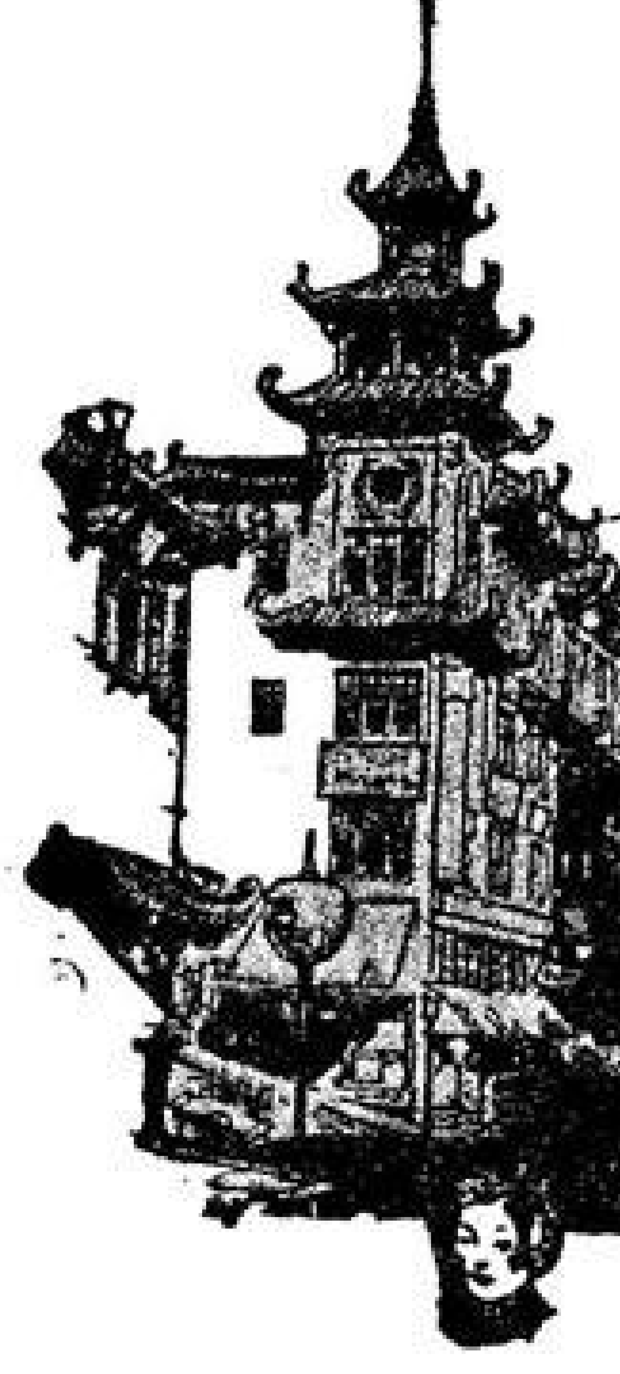


معلومات

غريبة عن

اليابان

بقلم امين الغريب



تروي الاساطير الشائعة عن اصل اليابانيين ان امبراطوراً صينياً اسمه سينو سكيفو استشار يوماً احد اطبائه في طريقة اكيدة لاطالة الحياة. وكانت للطبيب مطامح بعيدة فاجاب ان في اقاصي الجزر الشرقية الخالية من السكان عشبة ذات خاصة عجيبة تطيل عمر من يأكلها الى حد غير محدود . لكن طبيعة هذه العشبة لطيفة حتى لو لمسها من فيه اقل خلل صحي لفقدت خاصتها فوزاً . فلا بد لاستجلابها من حملة تؤلف من ثلثمئة شاب وثلثمئة فتاة اقوياء البنية يذهبون الى تلك الجزر للبحث عنها . فأمر الامبراطور حالا بتجهيز الحملة . وسار بها الى اليابان حيث اطال المكث حتى تنوسي امره . فأنشأ الدولة التي كان يحلم بها من زهرة الشبيبة الصينية .

لست ادري مبلغ هذه الاسطورة من الصحة، لكن اعتماد اليابانيين في مفاوضاتهم على المخاتلة لا الصراحة ، وفي حروبهم على الخداع لا الرجولية ، يلقي على الاسطورة وشاحاً من الاحتمال يقرب من اليقين .

يطلق اليابانيون على امبراطورهم لقب « ميكادو » ومعناه « الباب العالي » . اما ولي العهد فيقال له في لغتهم « كوتائيشي » . اما كلمة « يابان » فمعناها « ارض الشمس المشرقة » .

ومن مميزات الميكادو بين الملوك ، وربما بين سائر البشر ، انه يحفظ اسماء مئة واربعة وعشرين جداً من جدوده كل منهم بكر والده بدون استثناء . فهل كانت هذه السلسلة الطويلة من الاسلاف دليلا في نظر الاوربيين على نبل اليابانيين ؟ ان امبراطور النمسا من سلالة هبسبرج كان يقيم حفلات رسمية في بلاطه، فلا يدعو اليها الا كل نبيل قادر على الانتساب الى ١٦ جداً من ناحية ابيه ومثلهم من ناحية امه كلهم من ذوي الدم الازرق . فعلى هذه القاعدة يجب ان يعد امبراطرة اليابان من اشرف البشر . فهل كان هذا الواقع ، وهل اجداهم عدد اسلافهم في نظر الاوربيين فتيلا ؟

لا لعمري . فان تقويم غوتا السنوي المعتبر بمثابة سجل رسمي للاسر النبيلة في العالم لم يكن يضع السلالة اليابانية المالكة في جزئه الاول ، بل ان ملوك اوربا لم يكونوا قبل ١٤ عاماً يكترثون للوفيات التي تقع في بلاط اليابان ، فلا يبدون اسفاً ولا يلبسون حداداً على موت ميكادو او احد من ذويه . في حين ان هذا كان يصدر امره تطفلا بحداد بلاطه في طوكيو كلما مات سليل ملكي في اوربا . واول من عدل عن هذا الاستخفاف باليابانيين هم الانكليز اذ اعلن ملكهم حداداً رسمياً على الامبراطور يوزيهيتو المتوفى في ٢٥ كانون الاول سنة ١٩٢٧ .

اما كيف تيسر لامبراطرة اليابان ان يكونوا كلهم ابكار والديهم ولم تتخللهم في هذه الاجيال انثى واحدة تحل في البكورية محل الذكور فتعليله بسيط : ان الميكادو يقترن بنساء عديدات منهن واحدة هي الامبراطورة . ولا بد لاحدى هؤلاء الزوجات المتسابقات ان تلد صبياً فيكون هو المختار . ويتناسى والدته بتاتاً ويحصر احترامه بالامبراطورة . وهذه تبادله الحب كما لو كان ولدها الخاص . واذا ماتت بكاها كأنها امه ولا يكترث بعد ذلك لامه الحقيقية الباقية في قيد الحياة .

وان كان هذا التدبير مستغربا فدونك ما هو اغرب منه : ان الاجانب لا يدركون مقدار تعلق اليابانيين بامبراطورهم . فكل قائد منهم ينتصر في معركة لا يفهم لانتصاره سبباً الا فضائل الامبراطور . واذا مات جلالته انتحر عدد من كبراء البلاد جزعاً عليه . ففي ١٣ ايلول ١٩١٢ لما خرج موكب الجنازة بجثة الميكادو متسوهيتو انتحر الجنرال نوجي الذي طبق اسمه الآفاق بفتحه مدينة بورت ارثور في الحرب الروسية السابقة ، وقد حز عنقه بالسيف . ولم ينتحر وحده بل رافقته زوجته بطعنة خنجر من يدها في صدرها . ولما مات الميكادو يوزيهيتو انتحر كثيرون حزناً عليه، نتذكر منهم البارون ايكادا احد اركان الجيش والحكومة . وعندما يأذن الله باسترداد وديعته من الميكادو الحالي هيروهيتو سيرافقه بالطبع الى الآخرة موكب من الكبراء الحاليين انتحاراً، ليتابعوا خدمتهم له في العالم التالي . وليس هذا كثيراً على قوم كانوا قبل

٧٥ عاماً يعاقبون بالقتل كل من يجسر على رفع نظره الى جلالة الامبراطور .

ثم ان كل ميكادو جديد بعد الصلاة على والده ودفنه ينعم برتب عالية والقاب شريفة على الثيران التي جرت بكل فخامة وابهة مركبة النعش الكبيرة ذات الدولابين فقط في شوارع طوكيو . واذا ذكرنا ان في البلاط الياباني الى الان واحداً من اعظم رجال القصر يتقلد وظيفة « لورد في خدمة القطط » علمنا ان كل تقليد تلك المملكة للحضريين لم يحل دون استمرارها على عقليتها القديمة .

وقد رأينا اليابانيين بعد ختام حرب الصين سنة ١٨٩٥ يقيمون في عاصمتهم اثراً تذكارياً فخماً كلفهم عشرة الاف جنيه انكليزي تخليداً لذكرى الخيول الباسلة التي لقيت حتفها في ساحة القتال. كذلك رأيناهم بعد عشر سنوات اي في ربيع ١٩٠٥ يقيمون في مدينة مياجي جنازاً حافلا للجياد التي قتلت في حرب روسيا . هناك في حضرة حاكم الولاية والاركان الملكيين والعسكريين والاحبار الدينيين اقيمت الصلاة الحارة بحسب الطقسين البوذي والشنتوي لراحة نفوس تلك الخيول التي جادت بحياتها في سبيل الوطن . واعدت مقادير كثيرة من التبن الجيد والشعير البديع على هيكل كثير المعالف واسع الاطراف. ثم اعتلى القائد الكبير منبر الخطابة فعدد مناقب تلك الخيول والعدد الذي سقط منها في كل معركة . وشكر لنفوسها باسم الامبراطور والجيش والامة مساعدتها الثمينة لاخوانها البشريين في الحرب . وأكد لها بالايمان المعظمة ان اسماءها تبقى محفوظة باحترام ومحبة في كل فرقة تنتمي اليها . ثم دعا الخيول الباقية في قيد الحياة التي اشهدوها ذلك الاحتفال الى الوليمة الفاخرة فكان سرورها بها على ما نظن فوق سرورها بخطاب القائد البليغ . وأكلت بارتياح وتهامس بعضها في آذان بعض ان البشر حقاً جماعة اوفياء .

واذا كان هذا غريباً فدونكم ما هو أغرب منه ايضاً : ان الميكادو وكل واحد من ذويه لا يجوز لهم ان يموتوا الا في عاصمة البلاد وفي الغرفة الخاصة بهم من قصورهم المنيفة . واذا اتفق لاحدهم ان يلفظ انفاسه النبيلة في مكان آخر فهو عبثاً يفعل ذلك بل يعتبر باقياً في قيد الحياة على رغم انفه الكريم الى ان تعاد جثته الى المركز الصحيح الذي يليق موتها فيه . ومن هناك يذاع نعيه على العالم .

مثال ذلك ان الامبراطورة هاروكو زوجة متسوهيتو التي كانت تدخن بغليون من الفضة توفيت عام ١٩١٤ في مصيفها نومادزو فنقلت جثتها الى طوكيو كما لو كانت حية ، لان التقاليد اليابانية تصارع الموت وتدعي بتجاهلها اياه انها تصرعه . ففي نومادزو أقامت الجثة الهامدة حفلة الوداع المعتادة لاصدقائها عند انتهاء الصيف مجلسة على عرشها لاقتبال أدعية الكبراء بسلامة وصولها، وتأكيدهم لها اغتباطهم بسرورها مدة اقامتها بينهم . ثم أجلسوها على كرسي المركبة المعدة لنقلها الى القطار الحديدي وعند وصولها قاعدة الى محطة طوكيو استقبلها عظماء الدولة بتحية الترحاب . ونقلت على هذا الشكل ايضاً الى البلاط الامبراطوري تواكبها كتائب من الفرسان والاعيان . فتقدمت وصائفها وحواشيها وحملنها جالسة على كرسي الى سريرها الوثير . حتى اذا مددت عليه نعاها النعاة للناس ونكست اعلام الحداد دلالة على الحزن والحداد .

وقد حوفظ على هذا التقليد ايضاً منذ اكثر من ثلث قرن لما مات ابن الميكادو الفيلد مارشال كيتاشيرو بالحمى في جزيرة فورموزا حيث كان قائداً لجيش الاحتلال الياباني . فقد اعيدت جثته الى طوكيو كما لو كان حيا . والاوامر العسكرية المنبئة برحيله حملت ختمه وامضاءه — او ما يشابه امضاءه — ولم تنشر الدارعة التي اقلته اعلام الحداد . بل كان الطعام يمد على مائدته الخاصة كالعادة . والتقارير العسكرية تلقى على اذنه الصماء في الصباح والمساء . وعند بلوغ الدارعة يوكوهاما قوبلت بالتشريفات النظامية . ونقل الامير الميت منها لابساً ثوب المارشال الساطع . ونقل بالقطار الحديدي في عربة ملكية . ولم ينع للناس الا في الغد قبل موعد الجنازة بساعتين .

ومما يستحق الذكر عن الحرب الاخيرة بين روسيا واليابان سنة ١٩٠٤ ان جميع ملوك اوروبا كانوا موالين للقيصر الروسي نقولا الثاني ما خلا ملكة ايطاليا مرغريتا (اصل الاسم مرغريتا لكننا نكتبه كما كانت هي تريد ان يلفظ) فهذه كان اعجابها شديداً بالميكادو متسوهيتو تبرق اليه مهنئة مبتهجة بكل فوز لجنوده في ساحات القتال . وهي لم تكن تفعل ذلك اعجاباً بالتمدن الذي ادخله الى بلاده كما يتبادر الى الذهن ، بل كرهاً منها للقيصر لانه كان قد خطبها مدة من ابيها امير الجبل الاسود قبل بضعة اعوام ثم فك الخطبة واقترن باميرة المانية . وقد تزوجت مرغريتا بعد ذلك بملك ايطاليا ، لكنها ظلت حاقدة علناً على خطيبها الاول الذي كفر بحسنها ولم يعرف قيمتها .

اما الادب الياباني العلمي فيختلف عن الادب المعروف عندنا . مثال ذلك ان دارسي اللغة الفرنسية منا يعرفون طبعاً الشاعر الكبير موليار الذي اسس الصدق والصراحة في السلوك وعمل على تهذيب اخلاق المتمحكين بين الناس وتنقية الاخلاق العصرية من سخافاتها .

وقد ترجمت رواياته الى جميع لغات العالم ومنها اليابانية — ومع ذلك حرّمت حكومة اليابان سنة ١٩١٠ قراءة كتب موليار بحجة انها مخالفة للاداب العامة . والحقيقة انها مخالفة لعادات اليابان المشهورة في تكريم بعضهم لبعض بالكلام الفارغ .

مثال ذلك ان رجلا منهم ضاق ذرعاً بكلب ينبح في بيت جاره ليلا، فكتب الى الجار يقول : « اسمح لي بان ارجو منك التكرم باتخاذ الوسائل الممكنة لاقناع كلبك الشريف بان يقطع صوته الرخيم وقت النوم لئلا يضطرني الى رفع يدي الحقيرة على رأسه السامي بضربة عصا مؤلمة » .

ودونكم ترجمة اعلان نشرته صبية يابانية بامضائها الصريح في احدى جرائد طوكيو : « انا فتاة جميلة وشعري الكثيف متموج كالغيم ووجهي طري نضير كزهرة الورد . وطلعتي ممشوقة كالصفصاف المستحي، وعيناي تلمعان كالهلالين في الظلام . وعندي ثروة تكفيني وزوجي طول الحياة متأملين في الازهار نهاراً وفي الاقمار ليلا ، فاذا وقعت هذه الكلمات تحت نظر شاب اديب لطيف المعشر حسن السمعة فانا اسلم حياتي اليه واستريح معه بعد الموت في ضريح من الرخام الاحمر » .

اما الاعلانات التجارية في صحف اليابان فهذا مثال منها : « عندنا ورق للرزم متين كجلد الفيل . نرسل البضائع الى عملائنا بسرعة قنبلة المدفع . الحرير والساتان في محلنا الطف من وجنة الفتاة واجمل من قوس قزح . نرتب البضائع في صناديق الشحن كما ترتب العروس خزانتها . المستخدمون في محلنا الطف من والد الفتاة التي لا دوطة لها » .

ولعل أغرب ما يجد الباحث الاجنبي في الحياة اليابانية الحاضرة من المدهشات ان يكون هذا الشعب قد بلغ من التمدن الغربي ما بلغ وهو لا يزال يهضم تلك التقاليد القديمة غير المعقولة . ولعل أقرب تفسير لذلك هو ان معلمي الامة اليابانية احكموا الفصل والتفريق بين العقليات والماديات . فأخذوا عن الافرنج كل شيء مادي اي الصناعة خصوصاً ، وصارت ايديهم تتقن ادارة الآلات المختلفة لكنهم استمروا على تأليه الامبراطور وعبادته . وقد توسلوا لذلك بتأليه الرجل على الاطلاق . فهو في بيته كل شيء، اما النساء فلسن شيئاً . وقد قرأت في مجلة « دايجست اوف ورلد ريدنج » عدد ايلول ١٩٣١ مقالا بقلم « ادجار سنو » مكاتب جريدة لندن ديلي هرالد في الشرق الاقصى يؤكد به اموراً كنت قد سمعت بها من قبل وصعب علي تصديقها . منها ان الرجل إله في بيته وان نساءه وبناته لا قيمة لهن يبيعهن ويهبهن لمن يشاء حين يشاء . وان الاعراض التي ندافع نحن العرب عنها بحياتنا لا اهمية لها البتة عند اليابانيين . وقال المستر سنو ايضا انهم قوم صادوميون وان العناية بالماديات صرفت انظارهم تماماً عن العواطف النبيلة . فهم لا يعرفون الا المكاسب ولا يرون للناس هدفاً في الحياة الا التجارة فقط . وان افكارهم لا تتعالى عن السخافات . وان هذا ما حداهم في جمرك تيانتسان منذ اربعة اعوام الى تجريد الناس من ثيابهم علانية بحجة التدقيق في التفتيش عن المهربات .

اما قامات اليابانيين فقصار حتى يلقبهم الاوربيون بالاقزام الصفر . وهم يكرهون هذا النقص فيهم ويمنعون اولادهم من قياس قاماتهم مخافة ان « يكبسوها » ويمنعوها عن الاستطالة . وقد قيل في تعليل قصرهم انهم يقعدون القرفصاء ولا يستخدمون الكراسي للجلوس . واذكر من عهدي في الولايات المتحدة انهم ابتاعوا منها لاول مرة مليون كرسي سنة ١٩٠٦ وقالت جرائدها مازحة ان القامات اليابانية ستطول قيراطين في تلك السنة .

وكانت القرفصاء مألوفة في الشرق اجمع، لان هذا الجلوس دلالة على التهيب والاتضاع . وأفرط اليابانيون في هذا الخمول حتى صار من يلقي التحية منهم عليك ، يكاد يعتذر عن جسارته اليك .

وانا لا اجزم بكون الكرسي تطيل القامات ، فان العرب لم يستعملوها من قبل ولم يكونوا قصاراً . على ان اختيار الكراسي على الاطلاق فن قائم بذاته ، ومن جهل الناس لاهميته اغفلوا درسه . فالكراسي قد تكون فخمة ثمينة ولكن غير صالحة للجلوس . على ان افضلها الواسعة اللينة التي تريح كل اعضاء الجسم راحة تامة .

ومما يؤثر عن احد كبار رجال السياسة انه كان شديد العناية بامرين لا يقبل فيها الا غاية الاتقان : الاطعمة والكراسي . والمثل السائر يقول : « اطعم الفم تستح العين » . والجالس المسرور بقعده اللين يجيبك غالباً الى ما تريد ، ولا يسرع الى الحنق والهياج كالقاعد المتزعج .

ويقال ان الكنائس والمدارس تحتوي اليوم على اقبح ما في العالم المتمدن من المقاعد ، لان القائمين على هندستها لا يكترثون لفلسفتها . ولعل هذا من العوامل المستترة في ابعاد بعض الناس عن بيوت الله . ولو اصلحت المقاعد لاصطلحت نفوس كثيرة ودبت فيها حرارة الايمان بعد الفتور .

امين الغريب

الذوق الفني

●

لا وجود للجمال او للقبح
كل شيء في هذه الحياة
وليد العادة
ويشتق منها
نحن نعتاد القبح
ونعتاد الجمال
فليس للقبح والجمال بعد الالفة
مقياس او فارق
والعادة
وليدة الوتيرة الواحدة
المتكررة
تدور على نفسها
وتدور
فتألف الدوران على العادة
ونألف نحن دورانها
فكأنها مستقرة
لا تدور
لما في الترجيع من معنى الملل
وتثليم الحاسة البكر
التي تقبل على غشاوتها
طبعة الصورة الاولى
والرجفة التي لم تسجل بعد
فان هي عاودتها الصورة
وتكررت الرجفة
سقمت الطبعة
وبهت زهوها على الغشاوة
وطفق الذوق
يبحث عن الشيء الجديد
ليخرج من الوتيرة البليدة

البير اديب

الوطن الصغير

المنزل

المسكن للانسان اشبه شيء بملابسه، فهو يحضنه ويحافظ على صحته كالالبسة التي تلفه. وقد توخينا في هذه الكلمة الموجزة ان نعرض للقراء افضل الحالات والشروط المنزلية لصيانة الصحة وتأمين الرفاه متمنين لهم جميعاً اوفر قسط من هذه الميزات.

لكل مسكن صحي شروط اولية عامة تتعلق بالمبادىء الصحية الاساسية، فتدابير خاصة تصبح رفاهاً، ومميزات لا يطالها سوى يد الغني تصبح ترفاً يزيد في لذة الحياة لكن لا يؤثر في مبادىء الصحة والوقاية الضرورية لنمو الجسد وتنعمه.

والشرط الاهم هو موقع المسكن الذي يجب ان يتكيف باختلاف طبيعة البلاد والمناخ. وبالاجمال يجب ان يكون كل منزل بعيداً عن المصانع والاماكن التي تفسد الهواء وتنشر فيه الجراثيم والعفونة كما انه يجب ان يكون منحرفاً عن مجاري الرياح الهوجاء. وافضل طريقة للتخلص من الرطوبة هي بناء المساكن في ارض بعيدة عن مجاري المياه واقامة الاقبية تحتها ليكون بين غرف السكن والطبقات الرطبة الكائنة في جوف الارض طبقة من الهواء تحول دون تسرب هذه الرطوبة الى اماكن السكن.

وافضل اتجاه تبنى فيه المنازل في بلادنا هو الاتجاه الشمالي الشرقي والجنوبي الغربي، لان هذا الاتجاه يجعل المسكن في مأمن من حر الشمس اللاذع صيفاً ومن ريح الشمال شتاء. وعلى كل حال فان المنافذ الواسعة والمسافات المعقولة بين بناء وآخر ضرورية في الدرجة القصوى لتجديد الهواء وتجفيف الرطوبة.

ان الهواء النقي هو اول ضروريات الحياة ويجب ان يتجدد بكثرة وسخاء. وهذا لا يعني ان تجديد الهواء يجب ان يتحول الى مجرى يضر بالصحة. لكن الافضل ان تكون الغرف واسعة ذات سطوح عالية بحيث يتيسر لكل شخص مدى من الهواء يراوح بين ٣٠ و ٤٠ سنتيمتراً مكعباً على الاقل. وافضل ما يمكن المرء ان يتوق اليه من هذه الناحية هو ان ينام في غرفة مفتوحة النوافذ، على ان يكون الغطاء كثيفاً وان توضع على النوافذ ستارة رقيقة.

وافضل غرف المسكن من هذه الناحية هي الغرف التي لا تختلف فيها كثيراً درجة الحرارة عن الخارج وهذا لا يتم الا اذا كانت الجدران كثيفة وغير قابلة لامتصاص الرطوبة. ولا بد من الملاحظة بان اكثر الابنية الحديثة يعوزها هذا الشرط كما يعوزها غيره من شروط الرفاه الصحي.

واذا امكن فالاوفق المحافظة على حرارة في داخل المساكن تراوح درجتها بين ١٥ و ١٨ سنتيغراداً. وخير طريقة للتدفئة هي استعمال الحطب لان هذا النوع من الوقود يسهل تجديد الهواء ولا يبعث غازات سامة في الغرفة كالفحم وغيره، وحرارته قوية متناسقة لا تحتاج الى عناية متواصلة كسائر انواع الوقود خصوصاً الفحم الذي لا ننصح باستعماله في غرف النوم لما قد ينتج عن غازاته السامة من الضرر والعواقب السيئة. ومن المستحسن اشعال نار قوية خارج غرف النوم فترسل اليها حرارة لطيفة متناسبة.

اما التدفئة بطريقة الغاز، وهي طريقة شائعة كثيراً في اوربا، فاننا نهمل ذكرها لانها غير متوفرة في بلادنا كما اننا نصرف النظر عن التدفئة بشعاع الكهرباء نظراً لغلاء هذه المادة في بلادنا.

وهناك ما يسمى التدفئة «المركزية» وهي عبارة عن جهاز خاص يوضع في اقبية المسكن ويوزع على جميع غرفه حرارة تنقلها مواسير خاصة يمكن تعديلها حسب المطلوب ولكن هذه الطريقة ليست في متناول جميع الطبقات فضلاً عن ان استعمالها في الوكالات المعدة للايجار لا تفي بالمطلوب لان جهاز التدفئة المركزي يشعل ويطفأ في اوقات وظروف لا تتناسب دائما وحاجة جميع السكان

واذا اردنا ان نتكلم عن التنوير فليس لدينا في هذا العصر انواع كثيرة منه لان انتشار الكهرباء قضى على سائر انواعه. ويشكو الكثيرون من نور الكهرباء خصوصاً العمال والكتاب فيقولون انه يضر بالبصر، وقد يكونون على حق في ذلك غير ان هذا النقص يمكن تلافيه باستعمال طريقة التنوير المعكوس اي بستر الاشعة الكهربائية بغشاء خفيف او توجيهها الى ناحية مقابلة ليعود النور معكوساً نحو العيون.

ومن شروط الصحة المنزلية ان تكون البيوت محتوية على اثاث ورياش يسهل تنظيفها فلا يبقى في حواشيها مجموعة من الاوساخ والغبار والمواد المضرة. لهذا يجب ان تكون المفروشات بسيطة الصنع، لا ان تكون من الزخرف والنقش والحفر بشكل يجعل منها مستودعات للاقذار. كما يحسن ان تكون زاهية الالوان جميلة المنظر رشيقة خفيفة على النقل من مكان الى آخر ليسهل تنظيفها والاعتناء بها.

واهم وسائل الصحة الانتباه التام للمطبخ وغرف الطعام التي يجب مسحها كل يوم تجنباً للغبار. ويحسن ان تمسح بين حين وحين بماء يحتوي على مادة مطهرة بنسبة خفيفة كماء «الجافيل» وغيره مما يشير به عليكم طبيبكم الخاص، وعلى كل لا يجوز ان تترك بقايا المطبخ في البيت من يوم الى يوم.



بم تتمثل الأنـــــاقة ؟

بعض النساء، وهذا البعض كثير، لا يدركن من جوهر الاناقة ولا يفهمن من معناها غير ان تسابق الواحدة اترابها في اعتناق الثوب البكر الجديد، فتعرضه للمرة الاولى في المجامع والاندية حاسبة انها حظيت باكليل الاناقة .

كلا يا سيدتي، ليست الاسبقية من موجبات الاناقة، ولا ان تصطنع السيدة والانسة الشذوذ فتنفرد بارتداء الثوب الغريب غير المألوف، حتى اذا ظهرت به حسبت ان بنات جنسها جميعا، دونها في الذوق والرشاقة والاناقة . كلا يا سيدتي، فالاناقة لا تسمح قط بالشذوذ ولا بان تجمع السيدة او الانسة من كل حدب جميع ما يخيل اليها ان الزي الحديث قد فرضه او نسي ان يفرضه . فاذا هي دمية تكاد تحتكر جميع ما في قوس قزح من الالوان، ومخازن الدنتيلا من الزخارف، وواجهات الصياغين من الحلى . فالاناقة ليست حب الاغراق ولا ان تستعير السيدة او الانسة لخدها وشفتها وظفرها حمرة الورد والتفاح والعناب . او تستعين على شعرها بالاوكسجينيه فما يلبث الذهب المزيف ان يفتضح عندما تبوح بالسر اهدابها الفاحمة . ومرة اخرى اقول: كلا يا سيدتي، ليس التصنع ولا الاغراق ولا الشذوذ ولا الاسبقية مما تفرضه الاناقة .

وكأني بك وقد عيل صبرك تتسائلين ما هي الاناقة ؟ وبم تتمثل؟ فأجيب وقد عيل صبري انا كذلك، ان الاناقة تتلخص في امر واحد فحسب: التوفيق بين الطابع الشخصي من جهة وشتى الظروف والمناسبات من جهة اخرى .

اما بم تتمثل؟ فمن الجهل ان نزعم انها تتمثل في اللبس والتبرج فحسب . ذلك ان الاناقة وحدة لا تتجزأ، وحدة تشمل شخصية المرأة بكاملها وتتجلى في ملبسها وزينتها كما تتجلى في مشيتها وسلوكها في المجامع والاندية، في حديثها وصمتها، هدوئها وحركتها، وفي كل تصرف أو بادرة منها، وكل تعبير يرتسم على وجهها . فمهما يكن للمرأة من حسن وجمال، ومهما يكن في عينيها من وميض الجاذبية، ولقامتها من هيف، وفي دماغها من ثقافة، تظل غير جديرة بلقب الانيقة، حتى توفق الى ان تسبغ التناسق والانسجام على كل ناحية من نواحي شخصيتها .

واذن فليس التصابي مما ينبغي للسيدة الرصينة، فهو كالوقار للفتاة المرحة الطبع اذ تحاول ان تكون كالتفاحة التي نضجت قبل الاوان، فلكل من الاثنتين طابع شخصي خاص بها ينبغي ان تظل في نطاقه لا تتعداه .

فهل تدرك كل سيدة وآنسة طابعها الخاص، او تحاول ان تتفقهه جيداً وتدرس مزاياه ؟ الواقع لا يؤيد ذلك . فلكم من سيدة أو آنسة تخرج الى الناس وهي تود من اعماق رغبتها لو يحسبونها « مارلين ديتريش » فعلا، وهي اقرب لو رأيتها الى جوزفين بيكر . واللواتي يقترحن على الخالق كثيرات . فهناك التي لا تستحب لحاجبها الا ان يكون خطاً يتوغل حتى السالف . وهناك التي ترى اسرافاً من الخالق عز وجل في ثغرها الكبير، فتقتصد في طليه بالاحمر . وهناك التي ترى الحيف كل الحيف في قصر قامتها فتستنجد بالكعب الطويل . ولست ادري من زعم لهؤلاء ان العين الصغيرة لا يشع منها الجمال وان القبح كل القبح في الثغر العريض وان الحسن لم يكتب الا للقامة الطويلة . الا ان الجمال لابعد من ان يقف عند هذه الحدود، واكثر شمولا من ان يقتصر على حاجب او ثغر . انما هو احد مظاهر الانسجام والانسجام فيها نعلم روح الاناقة . وما دمنا في حديث الاناقة فلا تفوتني ناحية منها لم اذكرها بعد . وهي ان الاناقة على نوعين: نوع فطري يلد مع المرأة ليجعل منها مثلا اعلى في نظر الرجولة الكاملة على انه نادر . وهو على ندرته لا يكلف البصر عناء التمييز والفحص . اما النوع الثاني فهو الاناقة المكتسبة التي لا تلد مع المرأة بل تقتبسها من الحياة، على التواتر، مع ما تقتبسه من التثقيف الاجتماعي في البيت والمدرسة والمجامع والشارع . على كل، اياك واليأس اذا لم تكوني من النوع الاول . فللاناقة المكتسبة لذة خاصة هي لذة المجاهد المنتصر . فجاهدي في هذه السبيل ما شئت وعسى ان تظفري بعدها باكليل الغار .

« انيارا »

حديث الامهات

بقلم الدكتور سري الدبه

ان رعاية الطفل لا تبتدىء حين تتفتح عيناه لنور هذا الوجود وتتنشق رئتاه نسمة الحياة الاولى ، بل عندما يعتمد الخطيبان على عقد الزواج . فالاطفال ملك الامة ، كما هم فلذة اكباد الوالدين، وواجب رعاية الطفل يبتدىء بالحكومات التي تسهر على مصلحة شعوبها وتوفر لهم اسباب الرفاه خصوصاً اذا كانت بلادهم كبلادنا قوام صادراتها اولئك الشبان الذين لا يخلو منهم قطر تحت الشمس . فالاجدر بأولي الامر ان يشترطوا سلامة الخطيبين من كل الامراض والعاهات التي يمكن ان تتصل بالوراثة الى النسل قبل ان يجيزوا عقد قرانهما . وللحصول على هذا سنن وشرائع تسير عليها الحكومات فتدرأ بذلك خطراً عظيماً يهدد النسل .

هذه واجبات الحكومة . اما العنصر الثاني فهو الام ، تلك التي تحمل المسؤولية الكبرى والتي عليها ان تعلم ان الطبيعة اوجدتها لتكون اماً بالدرجة الاولى ، وان أقدس وأشرف واجباتها هو الامومة الصحيحة الصادقة . وتقوم هذه بالاشراف على صحة ولدها منذ تكوينه في ظلمة احشائها حتى يستقل بالاعتناء بنفسه . ولكي تتمكن من وضع هذا الاساس الصحي ، عليها ان تكون عليمة بالاساليب التي يجب اتخاذها لبلوغ الغاية المنشودة .

وكما ان الطبيب والمهندس والمحامي لايملكون حق معاطاة مهنهم الا بعد درسها الدرس الوافي والوقوف على اسرارها ودقائقها على يد ثقاة يرجع اليهم في هذه العلوم فكذلك يجب على كل فتاة تعد نفسها للحياة الزوجية وللامومة ان تكون قد درست في المدرسة موضوع رعاية الطفل درساً وافياً يفوق درس سائر العلوم والفنون التي تعد ثانوية بالنسبة اليها . وواجبات الام تبتدىء حيث تنتهي واجبات الحكومة او رجال الدين ، اي بعد الزواج وابتداء الحمل . والزوجة الحكيمة التي يكون قد فاتها درس الامومة والعناية بالطفل وهي لم تزل تلميذة على مقاعد المدارس يمكنها ان تعتبر تسعة اشهر الحبل سنة مدرسية كاملة تكفيها للوقوف على ما يجب فهمه في هذا الموضوع الحيوي .

والعناية بصحة الجنين هي العناية بصحة الحامل ، لان الجنين جسم طفيلي يعيش ضيفاً على رحم امه اثناء الحمل يتغذى بدمها وتكفل اعضاؤها المنقية تنقية الادران التي يفرزها جسمه النحيف اثناء ذلك . وهذه العلاقة بين الجسمين تتم عن طريق الارتشاح والامتصاص بين غشاء الرحم الداخلي وبين الخلاص الذي يتصل بواسطة الحبل الصري بصرة الجنين . فكل تغيير يطرأ على دم الام يكون له تأثير على جنينها دون ان يكون لهذا حيلة في تعديله . واذا علمت الام انها بدخولها في طور الحبل اصبحت ينبوع حياة لجسد آخر ضعيف يقتضي لاغنائه دم نقي مشبع بالاكسجين والمواد الحيوية ادركت اذ ذاك تضاعف المسئولية الملقاة على عاتقها .

وما الحمل بحد ذاته الا حدث فسيولوجي صرف ، اذا صادف وقوعه في جسم سليم واذا سارت الام طبقاً للتعليمات الصحية تمر به دون انزعاج يذكر . وكثير من الامهات يشعرن باسعد ايامهن الصحية اثناء الحمل . اما التغييرات الشديدة التي تطرأ على حالة الحامل بعض المرات فمسببة عن ضعف اومرض سابق تثيره التخمرات التي تحدثها تطورات المشيمة اي الخلاص وافرازات الجنين ، وما يطرأ على الجسم الاصفر والمبيض والغدد ذات الافرازات الداخلية من تطور يقتضيه نمو الجنين .

والملاحظات الاجمالية والاساسية التي تساعد على سلامة الام والجنين هي (١) الحالة النفسانية والعصبية :

للحالة النفسانية في الحبلى تأثير على صحتها وصحة جنينها . فالسرور الدائم والمرح يساعدان الجسم على اتمام وظائفه الفسيولوجية . ويجب ان يكونا سلاح المرأة اثناء حملها . فالخوف من الوضع وما يليه والسويداء والغضب والانفعالات النفسانية على اختلافها تعوق افرازات الغدد الداخلية عن اجراء مفعولها، فيسوء الهضم والامتصاص وتسيل في اندم مواد مضرة بالجنين ترافقه الى ما بعد الولادة . اما الآلام العصبية التي تنتاب الحامل بعض الاحيان في رأسها او في بعض اعضاء جسمها فهي لا تنتج مباشرة عن الحمل . ولهذا يجب الاجتهاد للعثور على مسببات خارجية . وهذا يتم بفحص البول والدم والضغط الدموي والانف والحلق والاضراس ، وبالانتباه الى الجهاز الهضمي ومقاومة القبض المتسلط على الحامل في غالب الاحيان .

(٢) التغذية : ان الغذاء الذي تأكله الام اثناء الحمل لا يقتصر على بناء جسمها وجسم الجنين فحسب ، بل يتناول تأثيره جسم الطفل بعد الولادة ، لان جسم الجنين يذخر في داخله من الحديد والفسفور

والايودين ما يكفيه حتى يصبح قادراً على اكل الاطعمة التي تحتوي هـذه المواد . وليست العبرة في كثرة طعام الحامل ، بل في انتقاء الجنس الملائم منه ، لان ما يدخل معدة الام يتحول الى دم ومايحتويه هذا الدم من خلاصة الغذاء يبني جسم الجنين في الدرجة الاولى ، وما زاد على ذلك ينتفع به جسم امه ، فاذا حصل نقص في المواد البانية تتأثر الام منها اولا ، واذا زاد العجز يتأثر جسم الجنـين ايضاً . فالمادة الكلسية ضرورية لاجل نمو العظم وتجمد الدم ونمو الاسنان ، وتجمد الحليب في المعدة وتقلص العضلات وخصوصاً عضلات القلب . والفسفور يدخل في تركيب الخلايا وتغذية الجهاز العصبي . والحديد يمكن الدم من حمل الاوكسجين من الرئتـين الى سائر خلايا الجسم . والكلورين يتمم حيوية تلك الخلايا . والايودين تحتاجه الخلايا الدرقية وهي المسيطرة على امتصاص الاطعمة وحرق المواد اللازمة لحرارة الجسم ، وبالتالي النمو الاجمالي قبل سن المراهقة . اذن فالحامل تتغذى اولا لحفظ حالتها العمومية بصورة صحية تامة . وثانياً لتقوية العضلات التي تحتاجها لاتمام الولادة . وثالثاً للحصول على كمية من الدم كافية لحفظ حياتها بعد ما تفقد من دم المخاض . ورابعاً لبقائها قوية بعد الولادة . وخامساً لتغذية جنينها . وسادساً لتتمكن بسرعة من اعاضة ما فقدته من قوى اثناء الوضع وبعده .

من اجل كل هذا يجب ان تأكل طعامها المختار باشتهاء ولذة ، وان تحسن المضغ ، وان لا تنهك معدتها بالاكثار من الاطعمة ، خصوصاً غير المهضوم منها . وعليها ان تتجنب التوابـل والمآكل الحادقة والغنية بالمواد الدهنية ، وان تتحاشى القبض باكثارها من اكل البقول والفاكهة ، وان تتجنب المشروبات الروحية والمنبهة ، وان تكثر في الشهرين الاخيرين من تناول الحليب والبيض والبقول المورقة والبندورة ، وذلك لتطلب جسم الجنين اذ ذاك زيادة من المواد الكلسية والحديدية والفسفورية المتوفر وجودها في الاطعمة المذكورة ، لان العشر من جسم الجنين يبنى قبـل الشهر الخامس والتسعة الاعشار الباقية تبنى بعده ، ونصف وزنه يتكون في السبعة الاشهر الاولى والنصف الثاني في الشهرين الاخيرين . فـاذا سارت الحامل على نور هذه المعلومات العائدة لغذائها وغذاء جنينها تكون قد وضعت حجر الزاوية في بناء صحته في الطفولة وما يليها .

الدكتور سري الديه

شهداء الديمقراطية المعاصرون

– تتمة الصفحة ١٦

وصلني نبأ استشهادها وانا في باريس ، وكانت اول خاطرة بدرت في ذهني هي الانتقام ، فصممت على قتل عدو ايطاليا الاكبر الدوتشي نفسه ، ولكن ما الفائدة من قتله ؟ يجب قتل الفاشستية اولا .. وكيف السبيل الى الوصول اليه والتخوم الايطالية موصدة في وجه الخوارج ، والارصاد محكمة ، والاعين مبثوثة ؟ هناك طريق واحدة هي السماء . ولسوف اركب هذه الطريق ، لا لادنس يدي بدم الدوتشي ، بل لالقي فوق سماء روما اربعة ملايين رسالة اخرى من رسائل الحرية . ولسوف تحمل كل واحدة منها هذه الكلمة بالحبر الاحمر :

« لقد استشهد ماريو فانسنجيرا وبينتو دي غاما في سبيل تبليغ رسالة الحرية اليكم ، فحافظوا على هذه الكلمة وانشروها بين الناس حتى الموت . »

نعم لم تحلق حتى الان فوق روما طائرة عدو ، لكن لا بـأس . سأكون انا هذا الطائر الاول .

مهما يكن من الامر : موت او حياة ، فالمهم ان اقوم بالواجب الذي اشتريت نفسي له . وماذا يهمني ان يكون الخطر الاكبر في العودة من روما ، فالوصول اليها غايتي المثلى ، ولدي من الوقت ما يكفي لغمر روما بكلمات الحق والحرية قبل ان اموت . فأهلاً بروما واهلاً بالموت ، وبأسراب الدوتشي الجوية .

على انه مهما يكن من امر موتي ، ومن رأيي الخاص في هذا الموت المعجل ، فاني اراه لازماً لنجاح مهمتي نجاحاً تاماً . ان هي الا امثولة اجتماعية صغيرة يقدمها لورودي بوسيس في سبيل بعث الشعور في مواطنيه الايطاليين ، ولكي تستطيع ايطاليا ان تتحرر من طغمة الفاشستية الى الابد لامناص من ان تقدم بعض القرابين في سبيل هذا التحرر وهذا الانعتاق .

وها انا اقدم اول ذبيحة في هذه السبيل ..

نعم، الى روما . فبعد ان احلق فوق كورسيكا ، الى ما وراء الغيوم ، الى ما فوق ١٢٠٠ متر ، سوف اعود فأهبط الهوينا منحرفاً الى روما في ظلمة الليل كالطيف ، فأبلغها في الساعة الثامنة .

انا على يقين من ان قلم الاستخبارات قد اعد لي العدة ، وها ان الاوامر قد صدرت من الدوتشي قاضية باسقاط كل طائرة غريبة يشتبه في امرها ، نعم ان للدوتشي ٩٠٠ طائرة وكل واحدة منها مجهزة باحدث ما يمكن ، وجميعها تفوق طائرتي من حيث القوة او السرعة ، لكن مـا الفائدة من الحديد المأجور والاعصاب المرتزقة ؟

اما انا فطائر حر يحلق ليقول كلمته في سماء روما . ان اسطول موسوليني ينتظرني وهذا غاية ما ارجوه . لا بأس اذا قضيت نحبي ، فلعل في موتي الخير الذي ابتغيه لامتي ، والذي لم اوفق اليه في حياتي . »

***

هنا تنتهي الرسالة التي خلفها الشهيد « لورو دي بوسيس » وقد عثر عليها بين اوراق صديق له من الاحرار الايطاليين الذين لجأوا الى عاصمة النور – باريس . وروت جريدة « لاسويس » التي تصدر عن مدينة برن نبأ استشهاد المجاهد الفني اثر عراك جوي نشب بينه وبين اسراب الطائرات الفاشستية في سماء كورسيكا ، حيث وجدوا رفات حبيبته الجميلة « بيكاسوس » .

رأفت

الحركة الفكرية في الولايات المتحدة

يباشر قلم التحرير ابتداء من هذا الجزء من « الاديب » نشر فصول عن الحركة الفكرية في معظم اقطار العالم وقد توفرت لنا حتى الان مصادر وافية عن الحركة الفكرية في روسيا، واليابان ، وايطاليا ، والمانيا وانكلترا ، وفرنسا ، والهند ، واسبانيا، والبرازيل، ورومانيا ، وبلغاريا والمجر ، وسويسرا ، وبلجيكا ، وسيطالع القراء في الجزء المقبل فصلاً عن هذه الحركة في روسيا .

الحركة الفكرية في الولايات المتحدة

لثلاثين سنة خلت وجه فنويك بروكس، وكان لايزال يختبر جناحيه في الأدب، رسالة جريئة الى الناشئة يطلب فيها التحرر من ربقة التقليد. وكان الادب الاميركاني حتى ذلك الحين بمثابة اخ اصغر للأدب الانكليزي ، فراح يبحث عن نماذجه في التربة الوطنية والجو الوطني . كان يهتدي الى نماذجه في الحياة الانكليزية فأخذ يبحث عنها في الحياة الاميركانية . ولكي يصطبغ الادب الاميركاني بالصبغة الاميركانية انصرفت الناشئة الى الانعتاق من الماضي « الانكليكاني » من تأثير امرسن وفرنكلن . وكان في هذا الجحود بعض الظلم . ففي العام ١٩١٤ اصدر فرنون بارنتون مؤلفاً اثبت فيه ضرورة استئناف ذلك الماضي ، بل اثبت فيه انه ليس بالامكان القضاء عليه لانه اصبح جزءاً من الحياة الاميركانية . ومنذ ذلك الحين والكتاب الاميركان يقطعون الدليل على انهم لم يستطيعوا التحرر من النفوذ الاوربي ، فكبلن ، ودون بيرن ، وفرجينيا وولف ، وألدوس هكسلي ، ونويل كورورد ، وجويس يحتلون اظهر مكان من تفكير الادباء الاميركان ولهم في الولايات المتحدة من القراء أكثر مما لهم في بلادهم نفسها . فالاتصال بين انكلترا التي تكتب واميركا التي تقرأ ، من القوة بحيث يصعب التمييز بين كتاب اللغة الانكليزية في العالمين القديم والجديد .

اما تأثير الادب الفرنسي في الادب الاميركاني فلا يقبل جدلا . فأناتول فرانس مثلاً ما يزال الى اليوم نموذجاً للتهكم وللذوق الادبي في نظر الشطر الاكبر ممن يكتبون في العالم الجديد ولكن تأثير زولا كان اعمق وأوسع نطاقاً من تأثير اناتول فرانس . وقد يكون السبب في ذلك راجعاً الى اعراف الانسانية التي تفوح من صفحات هذا الكاتب . وما يقال عن زولا وفرانس يقال عن موباسان وبودلير واندره جيد وبروست وبرغسن .

وقد لا يقل تأثير تولستوي ودوستويفسكي وغوركي في الروح الاميركانية عن تأثير هؤلاء الادباء الفرنسيين . ولكان عجيباً ان لا يلمس أثر المستنيرين الاجانب في شعب الولايات المتحدة ، في ذلك الخليط من الاجناس البشرية .



القصصي الاميركي سنكلير لويس احد حائزي جائزة نوبل العالمية في الادب

القصصيون

قلنا ان زولا من نماذج الادباء الاميركان ، ومن تلاميذ زولا القصصي آبتن سنكلر ، فقد استهل عهده الادبي باخراج صورة صادقة عن الحياة الاميركانية : عن حياة المدن والمناجم ، والمصانع والشركات الكبرى وغيرها من النشاط الاميركاني . سوى ان الجواذب السياسية صرفته عن القصة قبل ان يكتمل فنه . وقد يكون تيودور دريزر ابر منه بروح زولا ، فقد صور خلائق غريزية عاجزة عن قمع شهواتها ولا تستطيع النمو من تلقائها . ومن غير ان تخالجه اية فكرة

سياسية صور بعض طبقات الشعب الاميركاني الفقيرة والعاملة منها بوجه خاص . وما عجز عنه دريزر قدر عليه شروود اندرسن راوي قصص البائسين وقاطني تلك المدن الصغيرة من مجاهل اميركا ، تلك البقاع النائية التي تكشف لنا عن عالم اميركي يجهل وجوده حتى السياح وحتى الاميركان انفسهم .

وقد يكون هيمنغوي اصدق من يمثل ذلك الجيل الذي فتح في القصة فتحاً امكنه من ناصية الفن . فقد عاش في فرنسا زمناً طويلا وساهم في الحرب ، وأشرب روح فلوبير واسلوبه . فهو مستقيم الانشاء حسن الذوق مشبع القلب بحب البقاع المشرقة . وقد اخذ اخيراً بجواذب السماء الافريقية ، ثم تحول الى اسبانيا ، اسبانيا الدم والشهوة والموت !

ومن اسياد القصة في العالم الجديد جمس برانش كابيل الذي حاول الانعتاق من الواقع وبناء عالم خيالي في قصته « جورجن » التي قال عنها النقاد الاميركان عند صدورها في العام ١٩١٩ انها اول قصة اميركانية « متمدنة » وجمس كابيل اشد تمشقاً للتعابير التلميحية الفائقة من ان تذيع له شهرة عريضة في طبقة الدهماء ، واكثر تشبعاً للاساليب ذوي الابراج العاجية المكللة بغيوم دقيقة الالوان من ان يكثر اشياعه في طبقة العامة .

اما سنكلر لويس الذي كان اول اديب نال جائزة نوبل فهو مصور وفي صادق للحياة في بلاده . وقد نلمس في ادبه تأثير فلوبير وويلز في آن واحد . فبطلة قصته « الجادة الكبرى » اشبه ماتكون بمدام بوفاري ، وفي السنوات الاخيرة اقتحم القصة السياسية فصور اميركا كما يمكن ان تكون في ظل نظام ديكتاتوري ، فلم تلق قصته النجاح الذي كان ينشده لها . وصفوة القول ان واقعية لويس تدرجه في عداد اصدق شهود هذا العصر .

وللقصة الاقليمية ابطالها في الولايات المتحدة ، فالانتاج الادبي لم يبق منحصراً في تلك البقعة الضيقة الواقعة بين بوستن وفيلادلفيا ، فقد عكفت اميركا على ماضيها وشعرت في الوقت نفسه بعظم مداها وتنوعه وما يزال ادباؤها منذ ثلاثين سنة يصورون اقاليمهم في حاضرها وماضيها . فقد حدثتنا ويلا كاثرس عن انكسار اولئك المغامرين الذين اسسوا غربي اميركا وعن زوالهم التدريجي . وصورت لنا جرترود اثرتون حياة كليفورنيا بأسلوبها الواقعي الصارم . ودرس ستريبلن تطور الاقليم الجنوبي منذ الحرب الاهلية الى يومنا هذا فوصف حياة عائلة اجتازت مرحلة الزراعة الى المرحلة الصناعية . وهذا الاقليم في صور الكاتب مجرد من اي جاذب رومانطيقي ، فهو فقير كالح ، عرضة للمنازعات ولتصادم الاجناس . اما في صور الكاتبة مرغريت ميتشل واتلنتا ، فهو مشرق مستنير ، احيت هذه القصاصة اساطير المزارع قبل الحرب الاهلية في جو مفعم بالجمال والعذوبة . وأجلى مظهر من مظاهر تفوقها في هذا المضار نفاد اربعماية الف نسخة من احدى قصصها في ثلاثة اشهر . ولا بد لنا ان نذكر ليس كتاب القصص البوليسية التجارية التي تطبع بمئات الالوف بل كتاب قصص المغامرات التي لا تخلو من تخيلات لها خطرها في اسلوب ادبي بليغ . وفي طليعة هؤلاء القصاصين هرفي الن ، والن رويت ، وساباتيني ، وجمس نورمن هل ، وغيرهم .

المسرح

ومر بالولايات المتحدة زمن خشي فيه من السينما على المسرح ، ولكن الحال ما لبثت ان تبدلت في العشر السنوات الاخيرة . ففيما برودوي تتردد في اخراج مسرحيات غير مضمونة النجاح كانت مسارح الهواة ماضية في الازدياد . وقد بدأت هذه الحركة في مصيف « كاب كود » ثم انتشرت في جميع انحاء البلاد . وكان للحكومة يد بيضاء فأنشأت مسرح « فدرال تياتر » وراحت تشجع على التأليف المسرحي الكتاب الذين لا امل لهم في مسارح برودوي . وسرعان ما أخذ الجمهور يميل الى المسرح تعباً من الكليشيات السينمائية .

الشعراء

والغريب في الولايات المتحدة ان نمو الحركة الصناعية لم يثبط آمال الشعراء . ففي منتصف القرن التاسع عشر كان الشعراء الاميركان يعدون بالعشرات ولا يزالون كذلك . وفي مقدمة النابغين منهم روبرت فروست ، الشاعر الصارم الذي يستأنف تقاليد انكلترا الجديدة ، وادوارد ارلنتون روبنسن ، واليوت ، وفاشيل لندسي وكارل سامبورغ . وهذا الاخير شاعر طواف يتنقل من مدينة الى مدينة ، كالشعراء « التروبادور » في القرون الوسطى فينشد قصائده على المسارح وكلها وحي المناجم والغابات . وازرابوند وهو شاعر مكتمل الفن يعيش من زمن طويل في اوربا . وستيفن فنسان بنيت الذي احتل قمة الشاعرية في ملحمته عن الحرب الاهلية .

ومعظم هؤلاء الشعراء يتخذون الشعر كملجأ ينعتقون فيه من حياة المادة الصاخبة التي تكتنفهم ، او كاحتجاج على العالم الذي يعيشون فيه . وليصعب كثيراً تحديد مدارس او نظريات شعرية في هذا الشطر من العالم الجديد .

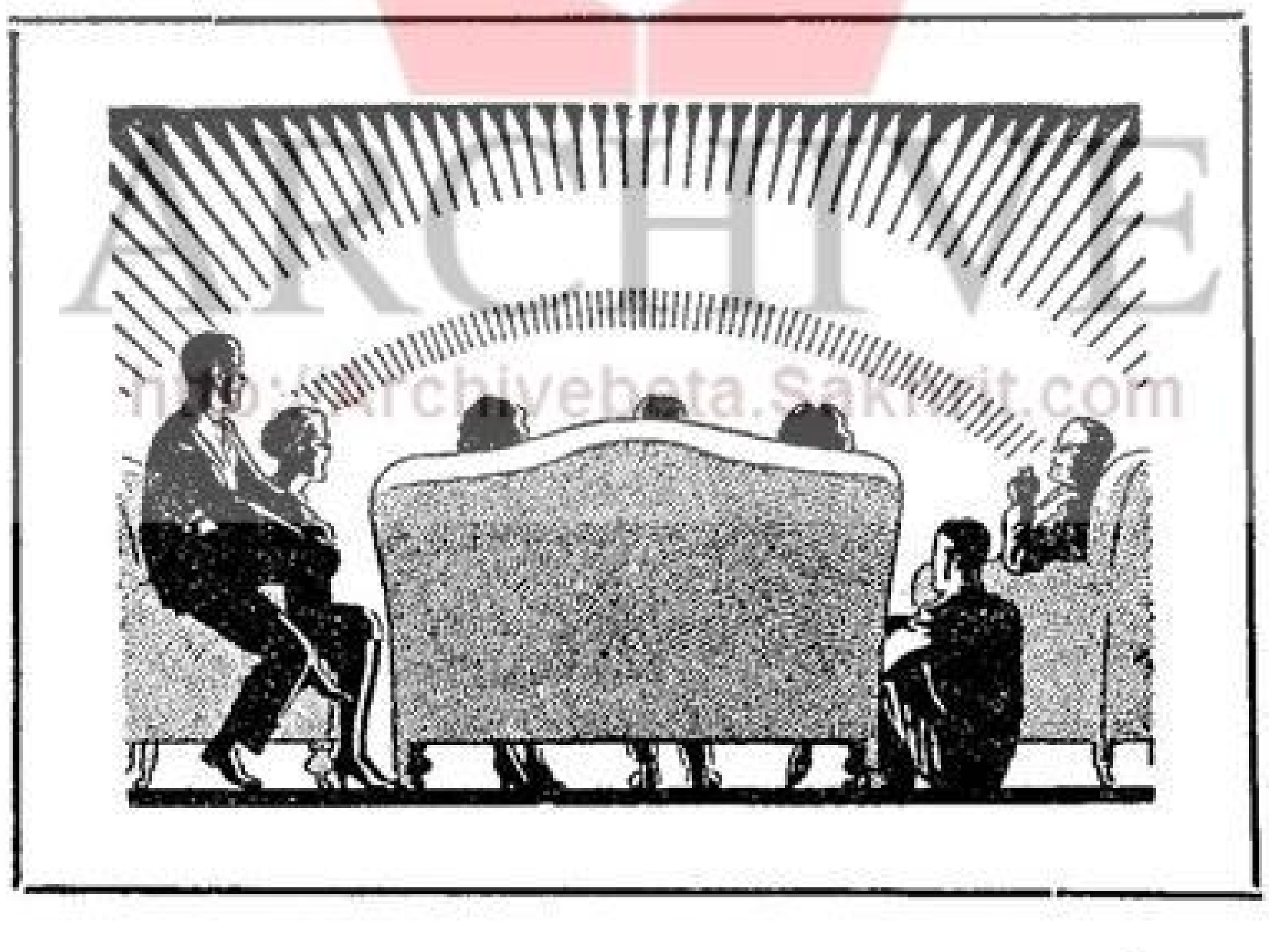
وصفوة القول ان ادباء الولايات المتحدة يقومون بجهد محمود لخلق ادب قومي جليل . ومن غرائب هذه الحركة الادبية ذلك الانفصال ، بل ذلك الطلاق القائم بين الادب والحياة السطحية في اميركا الشمالية فتجاه التفاؤل بالحاضر والثقة المطلقة بالمستقبل يقف ادب قوي الشكيمة لا ينسجم مع الوسط ولا يمت اليه بصلة . وهكذا نرى الادباء او معظمهم على الاقل ينسبون انفسهم ، مع ما اوتوه من الرواج العظيم ، الى جيل غير جيلهم . وقد يكون السبب في هذا عائداً الى كون الاديب في الولايات المتحدة لا يقسط له في الرواج والاقبال الا اذا سجن نفسه في نتاجه ، فهو مضطر الى ان يجتر في جميع مؤلفاته ، ولكن بشكل مختلف ، ما قاله في المؤلف الذي اذاع شهرته . وقليل من الادباء الاميركان من يستطيع التملص من هذه الشهوة الجائرة في الجمهور ومن فروض الناشرين الذين لا هم لهم – مع كرمهم – الا استثار عروق الكتاب . واقل منهم من يستطيع الصمود لـ « طابيات » هوليوود ولسحر الخرد الغيد من فردوس السينما .



طبيب العائلة

حدثتكم في الجزء الماضي عن وجوب اختيار طبيب للعائلة يعتمد على آرائه الصحية، في حالة الصحة، وعلى معارفه الطبية او معارف من يشير بهم من الاطباء في حالة المرض، وعن بعض الواجبات المفروضة على ذلك الطبيب مبتدئاً بالسهر على صحة المنزل، ثم بالفحص الطبي في حالة الصحة، منوهاً بالارشادات الصحية التي يمكن هذا الفحص من اسدائها منعاً لحدوث بعض الامراض وتحاشياً لتفاقم بعضها . فألمعت الى المعالجة الناجعة التي يمكن ان يؤخذ بها التدرن في بدايته، والى وقاية الكثيرين من شر المرض السكري ان لم يمكن اجتنابه بصورة قطعية . وسأستأنف البحث الآن بالاسهاب في بيان منافع الفحص في حالة الصحة :

كثيراً ما يرد في المباحث الطبية ذكر حملة جراثيم يمرحون بين الاصحاء وينشرون الامراض دون علم منهم، ومن هذه الامراض التيفوئيد والدوسنطاريا الاميبية، وهذه الاخيرة يعم انتشارها بين اكثر من خمسين بالمائة من سكان العالم . واكثر من خمسين بالمائة من هذه الاصابات انما ينشرها حملة الجراثيم .

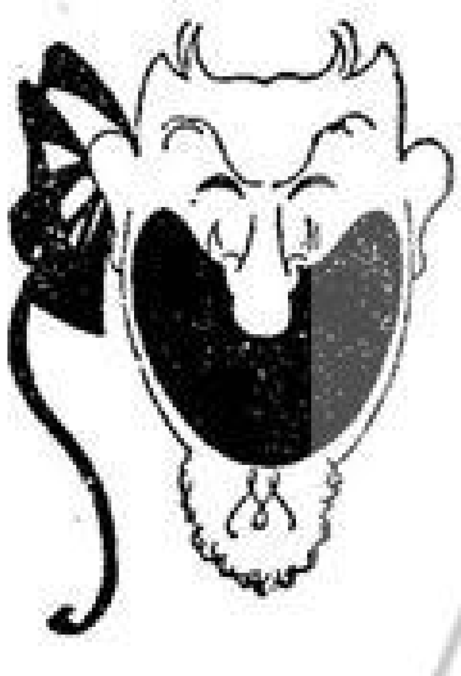


فلو كان هؤلاء يذعنون لرقابة طبيب عائلة يلجأ بين الاونة والاخرى الى الكشف عن حملة الجراثيم لكفى الناس شرهم، وربما انزل العدوى الى نصف نسبتها الحالية . ولا يقتصر هذا الفحص الطبي على اجتناب كثير من الامراض، بل يتعداه الى اجتناب كثير من حوادث الوفيات الفجائية، اذ كثيراً ما ينتشر خبر وفاة احدهم وربما من الفتيان، وقد كان منذ لحظات تتدفق منه الحياة وليس عليه اية ظاهرة من ظواهر المرض او بادرة عياء او ملامح سقم . فهذه المظاهر الصحية التي تبدو للناس هي خداعة، وهذه الحياة المتوهجة ليست الا سراباً تختبئ تحته احد الامراض القلبية او امراض الاوعية الدموية التي قد ينبعث عنها اعراض مزعجة تحمل صاحبها على مراجعة الطبيب او اتخاذ بعض الاحتياطات التي تمنع مثل هذه المفاجآت، بل بالعكس ان ظاهرها يدل في الغالب على الصحة، من حيث تورد الخدين ووفرة السمنة وشدة الشهية . واذا شكى احدهم بعض العياء من السير نسبه لازدياد وزنه، او اثراً من الصداع نسبه لكثرة الاكل، دون الاهابة به الى ما يوجب استشارة الطبيب او الاحتياط اللازم، وهكذا يستمر في اعماله اليومية كسائر الناس حتى يقف قلبه عن الحركة، فقد ينفجر احد الاوعية الدموية نتيجة ضغط شديد انتجته مائدة شهية او غضبة قوية . فلو كان هذا الرجل يرضخ لرقابة طبيب تحت اشراف طبيب العائلة الذي يراجع الفحص في حالة الصحة ويختلي به في حياته العادية، لكان على علم بما فيه من داء خفي ولكان بوسعه اخذ الاحتياطات الواجبة ليعيش اطول عمراً ويتقي شر الموت الفجائي . وهكذا قل عن الشلل الذي يفاجئ بعض الناس دون سابق انذار ويكون منشاؤه ضغط دم مزمن قد رافق الشخص سنوات طويلة دون ان يعلم بوجوده . وما يقال عن هذا يقال عن شلل الاطفال، ذلك الذي ينتج عن حمى لا تلازم الطفل سوى يومين او ثلاثة ايام، ولربما مرت دون ان تسترعي انتباه الام او المربية، خصوصاً اذا صادف وقوعها ابان حدوث بعض الحميات الخفيفة كالضنك او الكريب وغيرهما . وبعد وقت قصير يشاهدان الطفل يعرج، او يجر الرجل في مشيه، او اثناء حبوه اذا كان لما يمش بعد . وهذا ايضاً تهمله الامهات او تعتبره ناتجاً عن صدع او رضة و ما شاكل، وغالباً ما تتولى امر معالجته الجارات او الخبيرات من الامهات والجدات، فيستعملن من اجل ذلك مختلف « اللزق » والمراهم المنزلية والتنطيل والتمسيد والتكبيس وما اليها، مما ساقته اليهن العادات والتجارب، ولا ينتهين من هذه التجارب الا بعد فوات الاوان وموت الاعصاب التي تأثرت من مكروب تلك الحمى القصيرة . وهكذا يقضى على

هذا الطفل البريء ان يظل حاملا ذلك الشلل طيلة حياته . وكم من البالغين اليوم الذين يحملون وزر هذا الخطأ الفادح الذي لو تدورك في وقته وجيء بالطفل الى الطبيب قبل موت اعصابه ، لسلم الطفل من تشويه يرافقه طول ايام حياته . ومع هذا لا لوم على الام او المربية في ذلك ، ولا على الاطباء الذين يعرض عليهم المصابون بعد فوات الاوان ، انما يقع اللوم على العائلة التي لاتسترشد بآراء الطبيب ، اي طبيب العائلة الذي يسهر عليها ، وبهذا فقط يعلم ذلك الطبيب المسؤول الملازم ان الشلل ناتج عن الحمى البسيطة وان معالجته تتم قبل فوات وقت معلوم ، فتكون نتيجة الشفاء مقررة ، وهذا من منافع الفحص الطبي في حالة الصحة الذي يجب ان تحول نحوه الانظار .

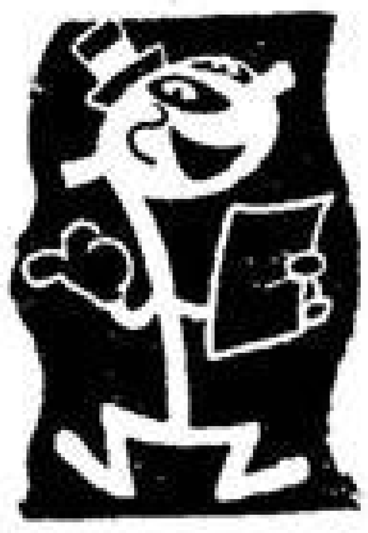
لقد ترقت هذه الفكرة في الولايات الاميركية المتحدة، فانشأت من اجل ذلك مؤسسات خاصة تدعى معاهد تمديد الحياة وهي تقوم على اساس ما ذكر سابقاً من تجهيز المؤسسة بالاطباء ذوي الاختصاص ، ومختبر كامل باجهزة التصوير الكهربائي والاشعة المجهولة وما وصل اليه الترقي العلمي ، يضاف الى ذلك سجلات واضبارات متنوعة ، فيشترك الناس في هذه المؤسسة لقاء رسم معلوم ، ويتقدمون باوقات معينة من السنة لاجراء الفحص الكامل ، وما امكن من التحاليل والفحوص الكيماوية والتصوير اللازم ، وجميعها تسجل في السجل الخاص ، ويعطى لكل من المشتركين صورة يحفظها ، ليقدمها الى الاطباء الذين يتولون معالجته . يضاف الى نتائج هذه الفحوص الارشادات الطبية والصحية . ويقدر العارفون ان معدل سني الحياة تزداد بذلك من العشرين الى الثلاثين بالمائة ، ويدهش المطلع على الاحصاءآت التي تصدر عن هذه المؤسسات كل عام ، والتي يعلن فيها عدد الامراض القلبية وامراض التدرن وامراض الكبد وامراض الدوسنطارا الاميبية المزمنة وامراض السكري ، وامراض الصمم الجزئي وامراض الاوعية الدموية ، وامراض الضغط ، وغيرها من الخفايا التي يظهرها هذا المختبر ، من امراض واملاح وحوامض ورمل وسواها ، الناتجة عن عدم تناسب المواد في الدم ، وكل ذلك في اشخاص لا علم لهم بوجودها في اجسامهم بتاتاً ، وكانوا يعيشون قبل ذلك دون اي حذر او انتباه ، وكانوا يمشون نحو استعصاء الداء او الموت المحتم ، لولا الارشادات التي استقوها من تلك المؤسسات والتي يعملون اليوم بها سعداء آمنين على حياتهم . ولعل البعض يحتج بان هذه الاكتشافات كما يسمونها هي مما يشغل بال الانسان ويخلق في رأسه وساوس هو في غنى عنها . فهذا كلام مردود اصلاً ، وما كنت لاذكره لولا كثرة الاشخاص الذين يبطرون في حالة الصحة الظاهرة ، ولا يريدون ان يكلفوا انفسهم عناء بعض الحمية وبعض الدراية ، ويجرون وراءهم كثيراً من الناس الذين يصغون الى آرائهم فتكون نتيجة ذلك آلاماً مبرحة لا تنفع فيها العقاقير ، واخطاراً محدقة لا حيلة في اتقائها . فمن واجب الحكيم العاقل ان يتدارك الامر قبل استفحال الخطر وقبل العجز عن رد ما فات . وما هذه الاجسام الا وديعة الخالق عند ابنائه ، فعليهم الاحتفاظ بها سليمة قبل ان يدب فيها العطب .

طبيب المجلة



المسابقة المسرحية

كانت لجنة « حياة الطلبة » في الجامعة الاميركية في بيروت قد اعلنت عن مسابقة بين الادباء والمؤلفين لتأليف رواية مسرحية وحددت آخر موعد لتقديمها في ٣١ تشرين الاول سنة ١٩٤١ ، ولما كانت الروايات التي قدمت حتى الان لا تفي بالغرض المطلوب رأت الادارة استناداً للبند الثالث عشر من شروط المسابقة التي نشرتها الصحف ان تبقى المسابقة مفتوحة للجميع ويكون آخر موعد لقبول الروايات في ٣١ ايار سنة ١٩٤٢ فعلى من لم يطلع على شروط هذه المسابقة من راغبي الاشتراك فيها ان يطلب نسخة من الشروط من ادارة «وست هول» في الجامعة الاميركية في بيروت .



السيطرة

بقلم الياس ابو شبكة

قيل ان يوليوس قيصر كان يجتاز يوماً احدى قرى الالب وكانت القرية تنتخب شيخها في هياج عظيم ، فقال له رجاله مستغربين : «ايتنازعون على السيادة حتى في هذه القرية الصغيرة ؟» فاجاب القيصر « اني اؤثر ان اكون الاول في هذه القرية الصغيرة على ان اكون الثاني في روما . » والواقع ان الانسان يشخص بطبيعته الى الرفعة والجاه ، وتدفعه محبة الذات الى ان يكون الاول في كل مكان . على ان من الناس من لا يكاد يحصل على هذه الاولية حتى يخيل اليه انه من طينة اطهر واسمى ، ولا يلبث ان تدفعه كبرياؤه الى الاعتقاد بانه اكبر واعظم من اخوته فيربط على جباههم نير فقرهم وآلامهم ، ويرون جلاداً ظالماً حيث يريد الله ان يروا اخاً راحماً .

قال يشوع بن سيراخ : « لا تجلس متكبراً عن يمينك لئلا يطمع في كرسيك ، ولا تعطه السلطة لئلا يقلبك ويقيم في مكانك . » فالمتكبر يهين السلطة ويعمرها ولا تلبث ان تنقلب بين يديه الى سيطرة مرهقة . واذا جرؤ صوت على تذكيره بان السلطة لم توكل اليه الا لخدمة المجموع اتهم هذا الصوت بالعصيان والعداء للنظام ، وخنق بفظاظة . ولكن الطاغية لا يجد حوله في الكثير الغالب الا جبناء متسكعين ، او معفرين متملقين . ذلك ان الطغيان يفسد المسيطر والمسيطر عليه في آن واحد . ولم اجد في وصفها ابلغ من قول خليل مطران في « نيرون » .

قزمة هم رفعوه عالياً   وجثوا بين يديه فاشمخرا
منحوه من قواهم ما بـه   صار طاغوتاً عليهم او اضرا
مدّ في الآفاق ظلاً جائلاً   هو ظل الموت او اعدى واضرى
متلفاً الزرع والضرع معاً   تاركاً في اثره المعمور قفرا

وقد لا يجهل الطاغية ما يضمر له الغد فيلجأ الى الحيلة او الى القوة ، الى الحيلة التي تفضي الى الكذب والنفاق والتهويل والخيانة ، والى القوة التي يجعلها حقاً ويجلسها على قواعد فلسفية ودينية فتمسي وهي من آداب الكواسر البشرية . وقد يبدأ مذهب القوة بسلوك طريق الاستقامة ولكنه يواصل سيره في الاطماع والجشع وينتهي الى الظلم والجريمة . وسرعان ما يحول الصالحين الى مواش هالكة ، الى قطعان من الوحوش . ذلك ان العنف الذي لا ينطوي الا على قوة تخريبية متفجرة ينقلب بسرعة على نفسه كشظايا قنبلة يرميها فوضوي متطرف فتطرحه على صعيد الشارع أولى ضحايا حقده الاعمى ! . . .

> « لا اجد بداً من الاعتراف قبل الموت بأني احتقر الامة الالمانية لحماقتها المتناهية واني اخجل من الانتساب اليها »
>
> شوبنهور

ورب قائل ان شر الطاغية الى حين وان من الشعوب ما يحتاج الى مسيطر ليستقيم امره ، وهذا خطأ . فعدوى فساد المسيطر تنتقل حتماً الى ضحاياه ، وتصبح غريزة يصعب استئصالها . واذا كانت السلطة الدكتاتورية احسنت الى الجمهورية الرومانية ولم تسيء اليها فلأن هذه السلطة التي كانت تُستمد من الاقتراع العام كانت عاجزة عن الاتيان بامر ينتزع من الدولة حقوقها كازالة سلطة مجلس الشيوخ او سلطة الشعب مثلا ، او كهدم الانظمة القديمة واحلال انظمة جديدة محلها ، هذا الى ان المسيطر الروماني كان

ينتخب لزمن وليس لمدى الحياة ، كان ينتخب لمداواة العلة وليس للقضاء على الدستور . اما المسيطر النازي فليس كذلك ، فقد هدم كل شيء .

لنفرض ان هتلر زال من الوجود .. او لنفرض انه ادرك النصر وبسط السيطرة الجرمانية على اوربا او على العالم وراح يحقق التنظيم الذي يتراءى له في مخه ، فماذا يكون ؟ ابالامكان فرض المبادىء النازية على سائر الشعوب ، ومن هذه المبادىء ما جاء في كتاب « كفاحي » : « ان الفكرة القائلة بان للشخصية البشرية الحق في احترام حريتها و كرامتها لم تثمر الا الكوارث ونكبات فيجب القضاء عليها ؟ » ولنفرض ان هتلر اراد العدول عن تعاليمه الجرمانية المخيفة على انها ضرورة اوجبتها الدعاية لزمن ، فهل بالامكان انتزاع هذه التعاليم من الشباب وقد رضعها مع الحليب وأشربها في قلبه وروحه ؟

كانت السياسة الدولية تعيش فيما مضى بغنى عن مساعدة تأتيها من عالم الفكر ، ولم يكن الملوك والامراء في حاجة الى المثقفين لتأييدهم في الحروب التي يشهرونها او المواثيق التي يعقدونها ، اما اليوم فكل تبدل في العلائق السياسية بين بلدين يجب ان يقترن



بتبدل في العلائق بين ممثليها الثقافيين . فهل بالامكان التوفيق بين مفكري الشباب سواء في الغرب او في الشرق ومفكري الشباب النازي القائل بلسان احد اقطابه : « يجب على العالم ان يعلم ان الشعب الالماني حاد نهائياً عن طريق الحضارة الغربية ، وكما قضينا على حضارة الشرق سنقضي على حضارة الغرب ؟ » وقد قالها الدكتور هوبت في العاشر من ايلول ١٩٣٣ في حفلة ضمت اربعة آلاف معلم . وهل بالامكان التوفيق بين رجال الفن سواء في اوربا او في الشرق ورجال الفن في الريخ الهتلري وقد نشأوا منذ خمس عشرة سنة على منهاج تنص احدى مواده على انه لا ينبغي ان يكون في الريخ مصور او موسيقي او شاعر يبدع لاجل هدف غير الامة وكل من يتعاطى الفن ولا يتقيد بهذا الواجب الوطني يلاحق كعدو للوطن ؟ » .

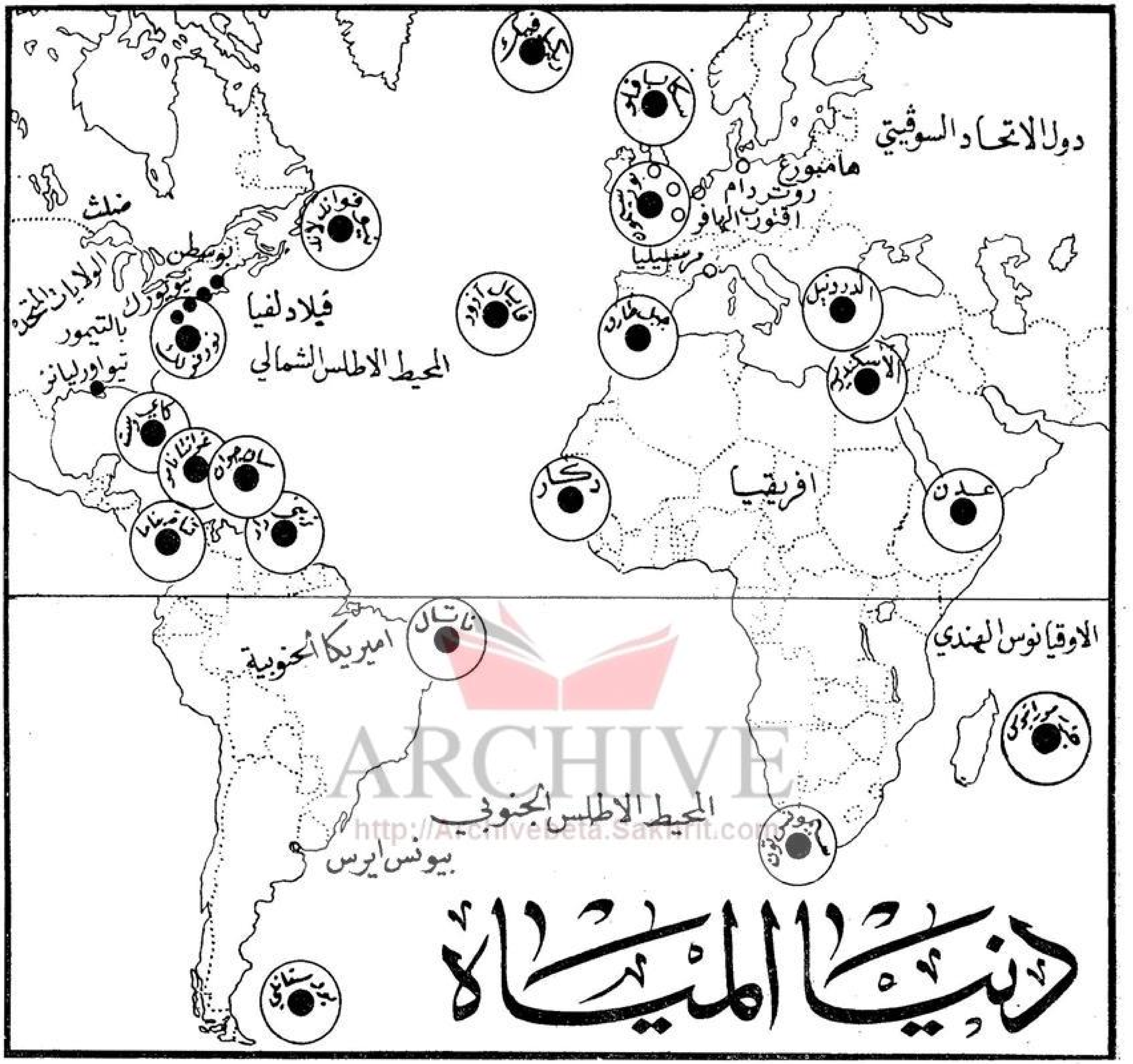
اذن كيف يستطاع اجراء تنظيم جديد للعالم على اسس فكرية وروحية في هذا المقدار من التناقض ؟ وكيف تستطيع الثورة الهتارية ان تحل المعضل الاجتماعي وهي ليست ثورة اجتماعية بل هي تكاتف منحصر في نطاق الامة الضيق . فقد حاربت هذه الثورة جميع المبادىء التي حاولت توحيد اوربا او توحيد جزء من اوربا على الاقل . ولا نزاع في ان الثورة الهتارية او الحركة الهتارية على الاصح تستمد كل قوتها من الفوضى ، فهي طوراً تحارب الكثلكة الرومانية وتارة تملقها ، طوراً تشجب الشيوعية الروسية وتارة تتعاقد معها ، حيناً تسخر من الديمقراطية وحيناً تدعي انها هي الديمقراطية الحقة .

لذلك رأيناها عاجزة عن مفاوضة جيرانها على اسس صريحة ، تمزق المعاهدات وتلجأ الى اسلوب الامر الواقع الذي سبب الكارثة الكبرى .

ورب متسائل : من اكبر جرماً من الآخر ، المسيطر الذي تطربه المداهنة السافلة ويلذه المديح الكاذب ام الذي يداهنه ويردد على مسمعه صباح مساء ان الحق للقوة وان رأي الاقوى هو الرأي الافضل ؟ على انه اذا كان حقاً ان الطغاة لم يخلقوا من العبيد مقدار ما خلق العبيد من الطغاة فمما لا شك فيه ان السيطرة تعمل دائماً على اسقاط المسيطر عليهم . فالسيطرة تضعف الآداب العامة وتفسد الشعور بالشرف والكرامة ، تشوه الضمائر وتخنق عاطفة المعارضة لسيئاتها ومعاثرها ، تصرف الصالحين من الشعوب عن فكرة المقاومة المشروعة وتحول المظلومين الى مقهورين اذلاء او الى مغلوبين بلهاء . وهي هي التي تبشع الطاعة اللازمة للانسان وللمجتمع وتقلبها من فضيلة الى رذيلة ، تقلبها من طاعة فورية حرة تصدر عن محبة الواجب وتؤثر الخضوع لله على الخضوع للبشر الى طاعة مستثمرة او مذعورة تعمل تحت وطأة الضغط والارهاب ، من طاعة الشرفاء الاحرار الى طاعة العبيد المحاسيب . ان نشر الحقيقة يحتاج الى رسل لا الى جلادين . فالسجون والمشانق والنار لا تقتل المثل العليا ، وضحية الطاغية تسقط تحت سيفه ولكنها لا تموت .

الياس ابو شبكة

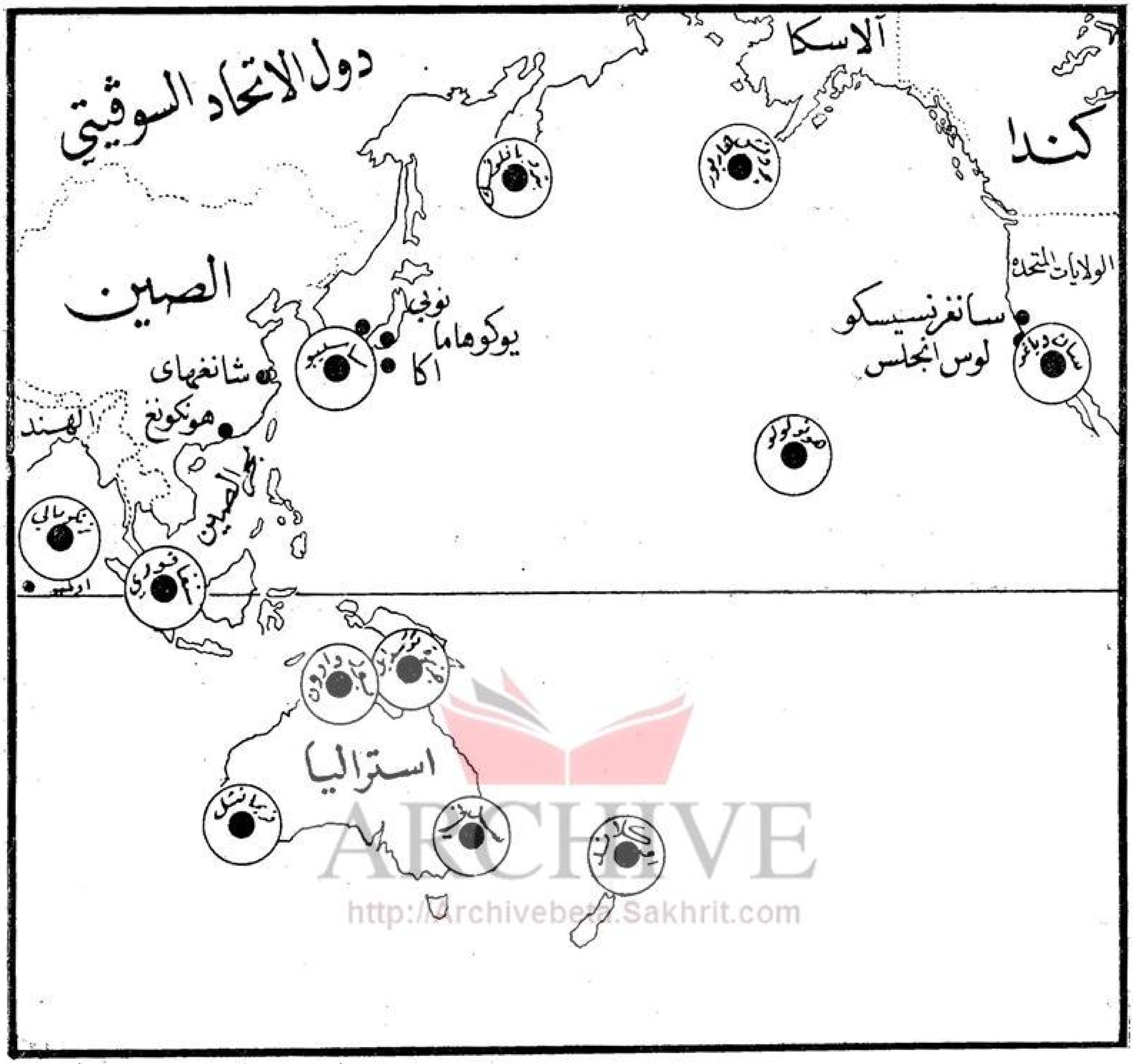
دنيا المياه



بقلم زيدان ظاهر زيدان

للطرق البحرية اهمية كبرى في النقل التجاري تفوق أهميـة النقل بطرق البر نظراً لقلة اكلاف الاول وكثرة اكلاف الثاني . ولهذا كان البحّار العائش على سطح الماء يرى البحار امامه مجالا رحيباً للسفر والتنقل ، تعترضه كتل من اليابسة يراها عقبات في سبيله ويودّ لو لم تكن، قائلا ان البحار هي الطرق السهلة للمتاجر والاسفار ، وان مدنيات العالم انما قامت على شواطي البحار وضفاف الانهار ، لان البشر رأوا سهولة في الحركة والتجول على الماء .

ولكن ليست كل البحار سهلة الارتياد ، فالاوقيانوسان المتجمدان في قطبي الارض الشمالي والجنوبي يخرجان من الطرق المائية الكبرى، والجغرافية البحرية للطرق تنحصر في الاوقيانوسين الاطلانطي والباسيفيكي وفي المحيط الهندي . لهذا نجد في المحيطات الثلاثة وفي نصف الكرة الشمالي طرقاً بحرية عظمى وحركة نقل مائية تجارية



كبرى لا نجدها في سواها من البحار الاخرى الكائنة في نصف الكرة الجنوبي الذي هو عبارة عن مياه ليس فيها مدنيات ولا شعوب.

فاذا كانت لتلك الاوقيانوسات الثلاثة والبحار المتفرعة عنها تلك الاهمية الكبرى في النقل والتجول كان من الطبيعي ان يعنى البشر بهذه الطرق وان ينشئوا حولها كل ما يسهل هذا النقل ويصونه حفظاً لحياة الشعوب والامم التي ترد اليها بواسطتها الارزاق والمحصولات وتصدر بواسطتها المصنوعات .

واذا نظرنا الى المصور الجغرافي العالمي الذي قدمنا به هذا البحث القيم والى النقاط السوداء المرصع بها هذا المصور وهي نقاط دفاع حربي لصون هذه الطرق ادركنا ما صنع الانسان لصون هذه الطرق وما انشأ للدفاع عنها وابقائها بعيدة عن متناول كل من يحاول سدها.

هناك في هذا المصور الجغرافي العام يقع تحت النظر ٣٢ باباً محصناً في هذه الطرق المائية تسيطر بريطانيا اوسع الدول املاكا ومستعمرات مع حليفتها اميركا على ٢٧ باباً منها كلها محصن تحصيناً قوياً ومجهز بأجهزة دفاعية تدعمها اساطيل حربية انفقت عليها بدر المال لتكفل للطرق المائية التجارية سلامتها ولتبقي الاتصال بين تلك الاملاك والمستعمرات مستمراً مؤمناً .

والان ما هي اهم عقد تلك المواصلات المائية واين تقع ؟ وما هي تلك المراكز المنشأة لصونها ، وأين هي ؟

يرى القارىء في المصور الجغرافي ان البحر المتوسط الذي يقع في قلب العالم يؤلف طريقاً بحرياً عظيماً بين الغرب والشرق ، يدخل اليه من جبل طارق — بابه — ومن قناة السويس ، وورائها عدن

في البحر الاحمر — بابه الشرقي — المفضي الى المحيط الهندي.

ويرى في الناحية الغربية البحر الكاريبياني الذي يتوسط الاميركتين الشمالية والجنوبية ويعقد ما بين المحيط الاطلانطي والمحيط الباسيفيكي بواسطة قناة باناما .

ويرى القارىء في الشرق من القارة الاسيوية بحراً تعظم فيه الحركة التجارية وتزدحم طرق النقل المائي—ذلك هو البحر الصيني الجنوبي الذي يحتشد الى شماله ويمينه وامامه ملايين الخلق ويصل بين الاوقيانوس الباسيفيكي والمحيط الهندي وتتوسطها قاعدة سنغافوره .

ويرى بين هذه المحيطات والبحار ممرات سيج حولها بقواعد محصنة تحصينا منيعاً تظهر على خريطة هذا المقال بدوائر سوداء يحمل كل منها اسم القاعدة الحربية المنشأة بهذا الموضع ، وهي قواعد يسيطر مالكوها على اهم الطرق البحرية الى مدى تبلغ استدارته حول القاعدة ٢٥٠٠ ميل .

واكثر هذه القواعد المحصنة مملوكة من بريطانيا والولايات المتحدة مبقيتين لروسيا قاعدة بتروبافلوفسك ولليابان بجرساسيبو فقط .

وفيما خلا البحار السبعة المتوسط والاحمر والهندي والاطلانطيكي والباسيفيكي والصيني والكاريبياني المحتشدة فيها امنع نقاط الدفاع عن النقل البحري ثلاث قواعد اخرى لها اهميتها في السيطرة على هذا النقل وهي بور ستانلي ورأس هورن في اقصى جنوب اميركا الجنوبية ورأس الرجاء الصالح في اقصى الجنوب من الارض الافريقية وقاعدة ناتال في البرازيل ودكار في افريقيا وجزر الازور وجميعها سهم في السيطرة على بحار الجنوب .



وانفصل الان مناطق القوة الدفاعية في ممرات البحار العظمى :

ان البحر الكاريبياني مع مداه الدفاعي الآخر وهو خليج مكسيكو هو المجال الدفاعي الحيوي للولايات المتحدة عن قناة بناما وتلتف حوله من ناحية الشرق جزر تؤلف نصف دائرة فتجعل منه ساحة فسيحة للدفاع . واهم الممرات قبل قناة باناما الى الشرق ممر وندوارد بين طرفي جزيرتي كوبا وهايتي ولهذا أقامت الولايات المتحدة حوله قلاعاً تراها ماثلة في الخريطة الكبرى لهذا المقال بنقاط سوداء مستديرة ويعتبر خليج جزيرة كوبا اهم نقطة في هذه الساحة للدفاع . اما من ناحية الغرب في الباسيفيك فليس لقناة باناما قواعد دفاعية تجعل الهجوم عليها مستحيلا الا جزيرة كوكوس وجزيرة كالاباغوس وهما ليسا من الاهمية بمكان .



وللبحر المتوسط اهمية عظمى في المواصلات الدولية منذ اقصى عهود التاريخ . لكن هذه الاهمية تضاعفت بعد فتح قناة السويس وجعلته الطريق الممتد بين الجزر البريطانية وامبراطوريتها العظمى وراء البحار الا في حالات استثنائية كالحالة الحاضرة ، وقد اعتيض عنه بعض العوض بطريق رأس الرجاء الصالح الاكثر سلامة وان كان اطول مسافة . فلبريطانيا ابواب المرور بهذا البحر من جبل طارق بالغرب وقناة السويس وعدن وراءها في البحر الاحمر بالشرق . وقد حصنتها جميعاً بحصون منيعة . وقد كان يخشى من هجوم جوي او بري اذا سمحت اسبانيا بمرور الجيوش بارضها لمهاجمة جبل طارق ، واذا هددت ايطاليا قناة السويس بهجوم من ليبيا ، وعدن وبهجوم من شرق افريقيا (زال هذا الخطر الان بانكسار دول المحور في ليبيا وشرق افريقيا) ، الا ان البحر المتوسط ليس مثل البحر الكاريبياني ، لما يقوم حول الاول من دول عظمى تتنازع السيطرة

والسيادة فيه كفرنسا وايطاليا واسبانيا مع الفرص التي تسنح احياناً لألمانيا لاختراق الطرق اليه ، او لروسيا لبلوغه من ناحية البحر الاسود والدردانيل .

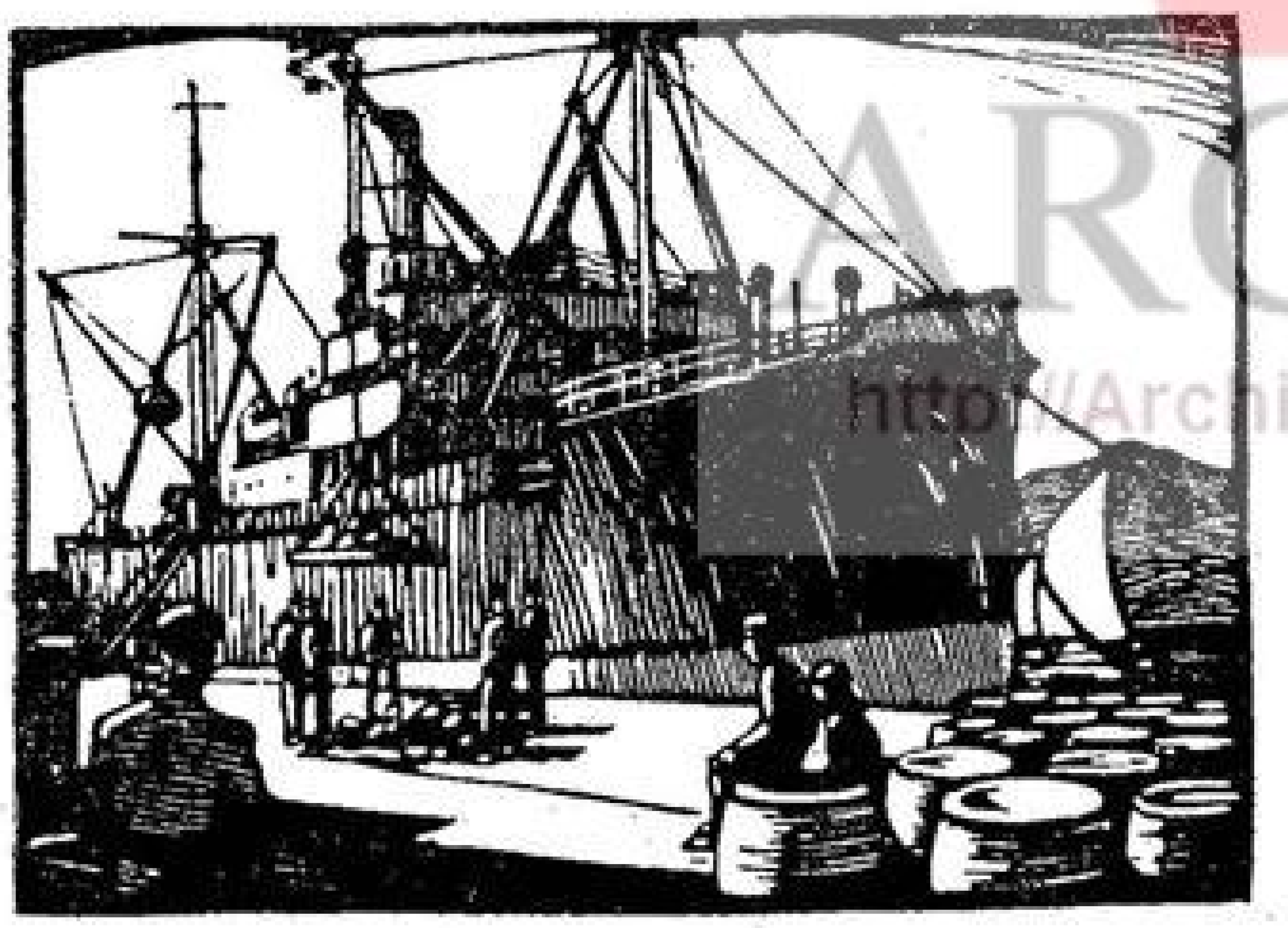


وبحر الصين الجنوبي هو اليوم مسرح اعمال حربية بين اميركا وبريطانيا من جهة واليابان من جهة اخرى .

وفي هذا البحر تمر الطرق البحرية الكبرى من اوربا الى الصين واليابان ، ومن استراليا ونيوزيلاندا الى شرق اسيا ولهذا كان النزاع فيه كثير الاهمية . الا ان للقوى البريطانية والاميركية فيه مواقع خطيرة للدفاع والهجوم . والناظر الى الخريطة يرى لهذا البحر ثلاثة مداخل ومخارج . فمضيق ملقه وسوندا من الغرب تدعمه قاعدة سنغافورا العظيمة ، ومضيق سانبرناردينو في جزر الفليبين ، وموقع هونغ كنغ . الا ان النجاح النهائي في هذا البحر يتوقف على مقدار التعجيل في اصلاح عطب القطع الحربية البحرية التي تتناجز فيه ، وتعتبر سنغافورة اهم مركز في تلك الناحية لمثل هذا العمل . وقد جهزت بكل ادوات الاصلاح والتموين للقطع البحرية حتى باتت تعتبر موقعاً عظيماً لاصلاح السفن الحربية على اختلاف انواعها ومحطة كبرى للتموين كما تعتبر حصناً خطيراً للدفاع وموقعاً ممتازاً للهجوم .

بقيت هناك بحار وممرات اخرى كبحر الشمال بين الجزر البريطانية وشبه جزيرة سكندينافيا والبحر البلطيكي وخليج المانش وهذه مفروغ من البحث في موقف بريطانيا فيها بعد ان دحرت المهاجم في صيف ١٩٤٠ وردته على اعقابه خاسراً ووطدت سلطانها على هذا البحر الذي تتجول فيه اساطيلها بحرية على رغم ملامسة مياهه شواطيء المانيا والبلدان التي احتلتها وهنا توجد قاعدة سكابافلو وهي قاعدة بيتية عظيمة القدر للدفاع والهجوم وقد كانت هكذا في الحرب العظمى الماضية وزادت اليوم اهمية وقوة ومناعة بما ادخل عليها من التحسينات الحديثة وما استتم فيها من نواقص الدفاع التي برهنت عليه الاعمال الحربية منذ عشرين سنة حيث اغرق الاسطول الالماني بجوارها في الحرب الماضية .

وما كان من الاهمية لهذه القاعدة في الحرب الماضية هو كائن اليوم فهي تتناول في دفاعها دائرة تتسع الى ٢٥٠٠ ميل وان كانت قاعدة حربية بيتية بالاصل .



هذه هي طرق المواصلات الدولية الكبرى ومواقع الدفاع حولها في « دنيا المياه » . ومن هذه المواقع ما جاز الامتحان وبرهن على صموده وبعد الخطر عنه ، ومنه ما هو تحت الامتحان الان وكله في بحر الصين الجنوبي ، على ان سيادة البحار التي تتمتع بها بريطانيا ما زالت بيدها ، وانضمام اميركا اليها باسطولها الضخم كفيل بان يساعدها على توطيد اسس هذه السيادة في بحار الشرق الاقصى كما وطدتها في البحار الاخرى .

زيدان ظاهر زيدان



الاحداث السياسية والحربية في شهر

اتسم الشهر المنصرم بعدة احداث عسكرية اهمها تأليف مجلس الحلفاء الاقتصادي برئاسة لورد بيفربروك، ومؤتمر الجمهوريات الاميركانية الذي انعقد في ريو دي جانيرو، عاصمة البرازيل، وتوكيد سياسة التعاون بين الحكومتين البريطانية والروسيـة، ومواصلة الروس تقدمهم واحتلالهم عدة مدن كبرى آخرها موجايسك، واستيلاء الجيوش البريطانية والحليفة على السلوم وحلفايا في ليبيا، واستئناف القوات اليابانيـة تقدمها في منطقة المحيط الهادىء .

في مطلع كانون الثاني المنصرم وجه الرئيس روزفلت الى الكونغريس الاميركاني رسالة بشأن ميزانية السنة الاميرية الجديدة . ومما لا شك فيه ان الارقام التي قدمها الرئيس وقدرها ٥٦ مليار دولار هي اضخم ارقام طلب من برلمان الولايات المتحدة تصديقها وقد اغتنم الرئيس روزفلت هذه المناسبة فنوه من جهة بالجهد الذي سيبذل في ميدان الانتاج الحربي الاميركاني واوضح من جهة اخرى اهداف اميركا من الحرب والسلم . اما عدد الطائرات والدبابات والمدافع والسفن التجارية التي تنوي الولايات المتحدة بناءها فيفوق وحده انتاج بلدان المحور جميعاً، فقد قال مستر روزفلت ان مصانع الولايات المتحدة ستبني ١٢٠ الف طائرة و ٥٥ الف دبابة و ٤٥ الف مدفع واكثر من الف واربعماية سفينة .

مؤتمر الريو

في الخامس عشر من كانون الثاني افتتح مؤتمر ريو دي جانيرو بحضور ممثلي جميع الجمهوريات الاميركانية وعددها احدى وعشرون . وكانت الغاية من عقد هذا المؤتمر اما اجماع الجمهوريات الاميركانية على اعلان الحرب على المحور او اتخاذ جميع التدابير للتدليل عملياً على تضامن اميركا المطلق . وقد اعطى المؤتمر ثماره الطيبة بفضل سياسة حسن الجوار التي سلكتها الولايات المتحدة طوال سنوات عديدة، فقد اعرب جميع ممثلي الحكومات الاميركانية عند افتتاح المباحثات عن تضامنهم الاكيد مع الولايات المتحدة مشبعي الروح بالثقة بانتصار قضية الحق عازمين عزماً راسخاً على التعاون في الدفاع عن ارضهم وعن المبادىء الادبية والقضائية التي تقوم اساساً للعلاقات بين جميع الشعوب الديمقراطية . وفي التاسع عشر من كانون الثاني اودع مكتب المؤتمر ثلاثة وعشرون مشروعاً ترمي الى تعزيز الرقابة على الاجانب في المقاطعات الاميركانية، والى تقرير تدابير صارمة بحق رعايا المحور وفرض الرقابة على المواصلات بين الدول التي تتعامل مع المحور، والى ايجاد مقادير احتياطية من الذهب لضمان نقد البلدان الاميركانية . ثم اودع مكتب المؤتمر مشاريع اخرى ترمي الى تقرير دورة دائمة يعقدها وزراء خارجية البلدان الاميركانية طول مدة الحرب، والى حل المنظمات المحورية، وفرض رقابة شديدة على حقائب المحور الديبلوماسية .

وكانت الارجنتين والتشيلي قد ابدتا بعض التحفظ فيما يختص بقطع العلاقات الديبلوماسية مع المحور . على انهما عادتا فانضمتا الى سائر الجمهوريات الشقيقة . وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني صدقت الجمهوريات الاميركانيـة الاحدى والعشرون المجتمعة في ريو دي جانيرو مشروع قطع العلاقات الديبلوماسية مع اليابان والمانيا وايطاليا . وفي الرابع والعشرين منه قرر مؤتمر الجامعة الاميركانية انشاء مجلس دفاعي من ممثلي الجمهوريات الاميركانية الاحدى والعشرين .

في الشرق الاقصى

تواصلت الحرب في جميع الجبهات موالية للحلفاء في روسيا وافريقيا الشمالية وغير موالية لهم نوعاً في الفيليبين وملزيا بالشرق الاقصى. ففي الثاني عشر من كانون الثاني كانت القيادة اليابانية تعدّ العدّة لشن هجوم واسع النطاق، والجنرال ماك ارثور يتأهب لكل طارىء. وفي ذلك الوقت نقلت القيادة البريطانية العليا من سنغافورة الى الهند الهولاندية واحتشدت الجيوش البريطانية جنوبي ملزيا. والغاية من هذا التدبير الانكليزي ابعاد اليابانيين عن قواعدهم لزيادة مصاعب تموينهم. ومعلوم ان السياسة التي يسلكها الحلفاء في الشرق الاقصى لا تخرج عن كونها سياسة انتظار. ولا يعني ذلك ان الحلفاء عازمون على التخلي عن مراكزهم ولكنهم يدركون قيمة الصبر. فبعد القضاء على هتلر يصبح القضاء على حلفائه امراً سهلا، فالهدف الاهم هو اذاً صرع الهتلرية.

ولم يكن الاميركان يجهلون أنه من الصعب عليهم الصمود في الفيليبين ولكن الفيليبين ليست عاملا حاسماً في النزاع الحالي. اما سنغافورة فكلما اقترب منها البريطانيون ازدادت مقدرتهم على الدفاع عنها اذ تختصر خطوط مواصلاتهم بخلاف اليابانيين الذين كلما تقدموا الى الامام ابتعدوا عن قواعد تموينهم وازداد ضعفهم. ولنفرض ان اليابانيين تمكنوا من تطويق سنغافورة فلا تفقد هذه الاخيرة الا قوتها الهجومية وتبقى لها كل مقدرتها على الدفاع. وما دامت سنغافورة محتفظة بمدافعها فلا يستطيع اليابانيون الدخول الى الاوقيانوس الهندي.

وفي الثالث والعشرين من كانون الثاني كانت القوات الاسترالية قد شنت في ملزيا هجمات معاكسة استرجعت خلالها معظم البقاع التي احتلها اليابانيون. وتمثل مقاومة الجنرال ماك ارثور دوراً على جانب كبير من الاهمية فهذه المقاومة تضطر اليابانيين الى استبقاء قوات بامكانهم استخدامها في مكان آخر.

في بدء العمليات الحربية ظن ان معركة الفيليبين ستنتهي بسرعة، وها قد مضى شهر كانون الثاني واليابانيون لم يحتلوا قلعة كوريجيدور، وما دامت هذه القلعة بيد الاميركان فاليابانيون لا يستطيعون شيئاً ضد جيش ماك ارثور.

في الجبهة الشرقية

وفي الجبهة الشرقية دلت الانتصارات التي احرزها الروس على أن القوة السوفييتية تمضي في الازدياد بينما القوة النازية تنحدر الى النفاد. ولا بد من الاعتراف بان الروس نظموا قواتهم تنظيماً قوياً وان مقدرتهم الهجومية مطردة النموّ. فقد اعلن الالمان لأيام خلت انهم وصلوا الى الخطوط الدفاعية التي هيأوها مسبقاً وما لبث الروس ان تجاوزوا هذه الخطوط. ثم اعلن الالمان انهم نظموا خطاً جديداً فانزل الروس قوات مظلية وراء هذا الخط.

وقد يكون اعظم انتصار احرزه الروس في كانون الثاني هو استرجاعهم موجايسك في مستهل الثلث الثالث من الشهر المذكور. وقد كانت موجايسك آخر موقع محصن ما يزال في حوزة الجيش الالماني بجبهة موسكو، وباسترجاع موجايسك زال كل خطر على موسكو.

في جبهة ليبيا

وفي جبهة ليبيا يبدو ان قسماً من قوات الجنرال روميل تمكن من الانسحاب نحو طرابلس الغرب بفضل العواصف الرملية التي ما برحت تهب في الصحراء. ولكن الكلابة البريطانية لم تنحل وواصلت الجيوش الامبراطورية ضغطها على السلوم وحلفايا تساهم فيه قوات فرنسا الحرة مساهمة فعالة. وللبريطانيين في ليبيا من القوى ما يسمح لهم بالقضاء على الايطاليين والالمانيين قبل ان يتمكنوا من الدخول الى طرابلس. وقد اسفر الضغط البريطاني عن احتلال السلوم اولا ثم حلفايا، وبقيت قوات افريقيا الجنوبية ساعات متواصلة من الليل ساهرة حتى الفجر بالرغم من برد الصحراء القارس، وبعد ان اخترقت خط الدفاع الالماني الاول الذي لم يبد مقاومة شديدة استولت على الخط الثاني ثم ارغمت القوات الالمانية على وقف القتال. وكان سقوط السلوم من الخطورة بحيث انه عزل حلفايا عزلا تاماً. اما حلفايا فقد سقطت في السابع عشر من كانون الثاني بدون قيد ولا شرط. وبسقوط حلفايا انعتقت اراضي مصر والقيروان من كل احتلال الماني او ايطالي.